
اجاثا كريستي
كلب الموت



أجاثا كريستي
{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

كلب الموت
The Hound of Death

ما سر البلورة السِّحرية مع الأخت الراهبة «ماري أنجيليك» التي فجرت عددًا من جنود الألمان خلال الحرب؟ هل كان ذلك حلمًا من نسج خيالها ووهمها أم كانت حقيقة واقعة؟

وما حكاية السيد «ديكي كاربنتر» مع الغجرية ذات المنديل الأحمر «اليستر هاروت» والتي كانت تظهر له قبل كل موقف يتوقع أن تحدث فيه كارثة؟

أما سر البيت رقم 19 الذي ظل عدة أعوام خاليً وعليه لافته تقول إن البيت معروض للبيع أو الإيجار. فهل هو بيت مسكون؟

هذا ما ستكشفه خلال قراءتك لهذه الرواية.

ومعها ستطالع عقدة السيدة «هارتر» من الأجهزة الكهربائية وخاصة المذياع. والسِّر في ذلك وما سيحدث لها..

ثمن الكتاب

البلد	الثمن
لبنان	5000 ل.ل.
سوريا	150 ل.س.
الأردن	3 دنانير
الجزائر	300 دينار
الكويت	1 دينار
الإمارات	10 دراهم
البحرين	1.5 دينار
قطر	10 ريالات
عُمان	1.5 ريال
مصر	10 جنيهات
المغرب	30 درهما
ليبيا	3 دنانير
تونس	4 دنانير
العراق	4000 دينار

ISBN 995338388-X
9789953383880

كلب الموت

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

كلب الموت

(75)

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تأليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

The Hound Of Death

And Other Stories

(1933)

الغلاف بريشة الفنان

فرج حسن

كلب الموت

سمعت القصة لأول مرة من "**ويليام ب . ريان**" المراسل الصحفي الأمريكي. كنا نتناول العشاء في "**لندن**" غداة عودته من "**نيويورك**" ، وتصادف أن قلت له : إنني ذاهب في الغد إلى قرية "**فولبريدج**" ، وتساءل "**ويليام**" بدهشة :

– "**فولبريدج**" في "**كورنوول**" ؟

كانت قرية مغمورة ، وقد أثار دهشتي أن "**ويليام**" يعرفها ، وأجبته بقولي:

– نعم .. هل تعرفها ؟

رد بالإيجاب ثم سألني عما إذا كنت أعرف بيت "**تريرن**" ، فتزايدت دهشتي ، وقلت له :

– أعرفه حق المعرفة وأنا ذاهب إليه في الواقع ... إنه بيت أختي .

قال "**ويليام**" :

– هذا أمر مثير للغاية .

وعندما طلبت منه إيضاحا قال :

– هذا يقتضي أن أروي لك تجربة مررت بها في بداية فترة الحرب .

فتنهدت بعمق .. دارت الواقعة التي أشير إليها عام 1921 ، ولم يكن أحد يسعده أن يتذكر أحداث الحرب العالمية الأولى ..

ولكن "**ويليام**" استرسل قائلا :

– كنت في بداية الحرب مراسلا لصحيفتي في "**بلجيكا**" وكنت دائب الحركة .. وكانت توجد قرية سوف أسميها "س" ، ورغم أنها قرية صغيرة إلا أن بها ديرا كبيرا للراهبات وكانت تلك القرية تقع على الطريق الذي يتقدم

نحوه "**الألمان**" .. ووصلت حشود "**الألمان**" ..

سرت في بدني رجفة ، ورفع "**ويليام**" يده وهو يطمئنني بقوله .

– ليست إحدى قصص الفظائع التي ارتكبها "**الألمان**" ..اتجه جنود العدو نحو الدير ، وما كادوا يبلغون الدير حتى انفجر كل شيء .

وصمت قائلا بفزع :

– أوه !

– عملية غريبة . أليست كذلك ؟ ظننت أن "**الألمان**" يقيمون احتفالا وأنهم يلهون بمتفجراتهم ، ولكن الأمر لم يكن كذلك ..وإنني أسألك : ما الذي تعرفه الراهبات عن القنابل شديدة الانفجار ؟

قلت له وأنا أهز رأسي :

– إنه لأمر غريب حقا .

– كنت مهتما بالاستماع إلى رأي الفلاحين في الحادث ، وكان رأيهم بالإجماع أن ما حدث معجزة عصرية .. وتحدث بعضهم عن راهبة قديسة يعتقدون أنها وراء ما حدث .

ووفقا لروايتهم استعانت الراهبة بالصواعق لتفجر "**الألمان**" غير الأتقياء . وقد انفجر المكان ليقضي على كل من كان قريبا منه .. معجزة ضخمة ! لم يكن لدي وقت لاستقصاء أسباب الحادث ، وكتبت الرواية كما سمعتها وأرسلتها إلى صحيفتي .. واستقبلها القراء في "**الولايات المتحدة**" بترحيب شديد لأنهم كانوا على استعداد لتصديق الكرامات الدينية والقدرات الخارقة التي تتمتع بها بعض الراهبات !!

ولكنني شعرت برغبة شديدة في تقصي الحقيقة .

لم يكن في الموقع ما يستحق الاهتمام سوى جدارين كانا لا يزالان قائمين ،

وعلى أحدهما الآثار السوداء التي خلفها احتراق البارود ، وهي تتمثل في شكل كلب ضخم ، وكان الفلاحون يرتعدون عند التطلع إلى ذلك الشكل ، ويطلقون عليه اسم "**كلب الموت**" ، وكانوا يتجنبون المرور من تلك البقعة بعد هبوط الظلام..

سكت "**ويليام**" برهة ثم أردف يقول :

– الخرافات مسلية دائما ، ومن ثم داخلتني الرغبة في مقابلة الراهبة التي تمت على يديها المعجزة عندما سمعت أنها نجت من الحادث ، وأنها سافرت مع حفنة من اللاجئين إلى "**بريطانيا**" ، وفكرت في تحمل مشقة السفر لاقتفاء أثرها عندما علمت أن المقام استقر بها في قرية "**فولبريدج**" في "**كورنوول**" .

كنت أريد أن أسمع من فمها ، ولكن مشاغلي حالت دون تحقيق رغبتي ونسيت الأمر حتى سمعتك تشير إلى "**فولبريدج**" .

فقلت له :

– سوف أسأل أختي فلعلها سمعت عن الحادث .. ولعلك تعلم أن البلجيكيين قد عادوا إلى وطنهم منذ وقت طويل .

– إذا عرفت شيئا من أختك يسعدني أن أعرفه .

وقلت له بحرارة

– سوف أخبرك بالتأكيد .

- 2 -

أثيرت القصة للمرة الثانية في اليوم التالي لوصولي إلى بيت "**تريرن**" .. كنت أتناول الشاي مع أختي في الشرفة عندما قلت لها :

– "**كيتي**" .. هل تذكرين راهبة بين مجموعة اللاجئين البلجيكيين الذين كانوا يقيمون في بيتك ؟

– لعلك تقصد الأخت "**ماري أنجيليك**" ؟

قلت لها بحذر :

– ربما تكون هي المقصودة .. حدثيني عنها .

– أوه .. إنها أشد المخلوقات غرابة .. هل تعرف أنها لا تزال موجودة هنا ؟

– ماذا تقولين ؟! تقيم في هذا البيت ؟

– كلا .. ولكنها موجودة في القرية .. هل تذكر الدكتور "**روز**"؟

هززت رأسي وأنا أقول :

– أذكر طبيبا عجوزا في حوالي الثالثة والثمانين من العمر .

– تعني الدكتور ليرد؟ لقد مات .. أما الدكتور "**روز**" فقد وفد إلى القرية منذ بضع سنوات ، وهو شاب مفرط الذكاء ، متشبع بالأفكار الحديثة ، وقد أولى الأخت "**ماري أنجيليك**" بالغ اهتمامه ، لأنها تعاني في بعض الأحيان الهلوسة والغيبوبة ، وهي من ثَمَّ حالة جديرة بالدراسة الطبية ، وحيث إن الفتاة المسكينة لم تكن لتعرف مكانا تتجه إليه ، فقد تفضل الدكتور "**روز**" مشكورا بتدبير مكان لإقامتها في القرية .. وأعتقد أنه يعد بحثا طبيا عن حالتها .

سكتت برهة ثم أردفت تقول :

– ولكن ماذا تعرف عنها ؟

– سمعت عنها قصة غريبة .

رويت لها القصة التي سمعتها من "**ريان**" ، وأبدت "**كيتي**" اهتماما كبيرا ثم قالت :

– إنها تبدو كذلك الطراز من الناس الذي يستطيع أن ينسفك .. لا أدري ما إذا كنت تفهم ما أقصده .

قلت لها وقد تزايد اهتمامي بالراهبة :

– أعتقد أنني في شوق إلى مقابلة هذه الشابة .

– افعل .. فأنا أحب أن أسمع رأيك فيها .. قابل الدكتور "**روز**" أولا .. لماذا لا تذهب إليه بعد تناول الشاي ؟

وافقت على الاقتراح ، ووجدت الدكتور "**روز**" في بيته ..

قدمت له نفسي ، ووجدته شابا لطيفا ، إلا أن شعورا داخليا جعلني أنفر منه، ولاحظت أنه بوغت عندما ذكرت اسم الأخت "**ماري أنجيليك**" ، ولكن اهتمامه تزايد عندما رويت له قصة "**ريان**" ، وقال مفكرا :

– آه ! هذا يفسر الشيء الكثير !

رفع بصره إلى وجهي واسترسل قائلا :

– هذه حالة جديرة بالدراسة ، من الواضح أن هذه الشابة تعرضت لصدمة شديدة قبل مجيئها إلى هنا .فقد كانت في حالة من التوتر العصبي الشديد ، وهي شخصية بالغة الغرابة ، وربما أحببت أن تراها بنفسك .

رحبت بذلك وصحبني الطبيب إلى كوخ يقع في أطراف القرية ، وتقع معظم مساكن "**فولبريدج**" على الجانب الشرقي من "**نهر فول**" ، أما الشاطئ الغربي فلا يصلح للبناء لكثرة التلال الصخرية ، رغم وجود بضعة أكواخ في ذلك الجانب ..

وكان كوخ الطبيب يقع على حافة صخرة في أقصى طرف من ذلك الجانب، وكان الكوخ الذي نقصده يطل على البحر ، وقال الدكتور "**روز**" :

– هنا تقيم الممرضة المحلية ، وقد اتخذت الترتيبات اللازمة لكي تقيم

الأخت "**ماري أنجيليك**" معها حتى تكون تحت الإشراف الطبي المستمر .

وسألته قائلا بفضول :

– هل هي في حالة طبيعية ؟

أجابني الطبيب باسما بقوله :

– تستطيع بعد دقيقة أن تحكم على ذلك بنفسك .

كانت الممرضة تستعد لركوب دراجتها لحظة وصولنا وبادرها الدكتور "**روز**" بقوله :

– مساء الخير . . كيف حال مريضتك اليوم ؟

– جالسة كعادتها في هدوء مشبكة الذراعين شاردة اللب . . لا تجيبني عندما أخاطبها ، وربما كان السبب أنها لا تفهم قدرا كافيا من اللغة الإنجليزية رغم طول الوقت الذي أمضته معنا .

أومأ الطبيب برأسه في حين ركبت الممرضة دراجتها ، وفتح الطبيب باب الكوخ لنرى الأخت "**ماري**" راقدة على أريكة بالقرب من النافذة . . أدارت الراهبة رأسها تجاهنا ، كان وجهها بالغ الشحوب . . وكانت عيناها واسعتين بشكل لافت للنظر ، تشعان بنظرات تعكس المأساة التي تعيشها الراهبة ، وخاطبها بالفرنسية قائلا :

– مساء الخير أيتها الأخت .

– مساء الخير يا سيدي الطبيب .

– هل تسمحين لي أن أقدم إليك صديقي السيد "**أنستروثر**" ؟

انحنيت للراهبة التي افتر ثغرها عن ابتسامة واهنة .

فقال الطبيب وهو يجلس بجوارها :

– كيف حالك اليوم ؟

– إنني أقرب ما أكون إلى حالتي المعتادة .

ترددت الراهبة برهة قبل أن تسترسل في الحديث قائلة :

– لا شيء يبدو لي حقيقيا ، أهي أيام تلك التي تمر بي أم شهور أم أعوام ؟ لا أكاد أدري ، ولكن أحلامي هي التي تبدو لي حقيقة .

– ألاتزالين تحلمين كثيرا ؟

– دائما . . دائما ، وأنت تعرف ، تبدو الأحلام حقيقية أكثر من الحياة .

– هل تحلمين بوطنك "**بلجيكا**" ؟

هزت الراهبة الشابة رأسها قائلة :

– لا . . إنني أحلم ببلاد لم يكن لها وجود قط . . ولكنك تعرف هذه القصة جيدا يا سيدي الطبيب . . فقد رويتها لك مرات عديدة .

توقفت عن الحديث برهة ثم أردفت تقول :

– ربما كان هذا السيد طبيبا هو الآخر . . لعله أحد أطباء المخ ؟

قال الدكتور "**روز**" بلهجة التأكيد :

– كلا . . كلا . .

لاحظت في أثناء ابتسامة الطبيب أسنانه المدببة ، وخطر ببالي أنه أقرب شبها بالذئب ، واسترسل الطبيب في حديثه قائلا :

– فكرت في أن الالتقاء بالسيد "**أنستروثر**" يهمك لأنه يعرف "**بلجيكا**" . . وقد سمع أخيرا بعض الأخبار التي تتعلق بالدير الذي كنت تقيمين فيه .

التفت الطبيب نحوي ، وقلت تعليقا على حديثه :

– كل ما في الأمر أنني كنت أتناول العشاء منذ يومين مع أحد الأصدقاء وقد وصف لي ذلك الصديق أطلال جدُر الدير .

– إذن فقد لحق الدمار بالدير ؟

تفوهت بتلك الكلمات كأنها تخاطب نفسها ، ثم حدجتني بنظراتها وهي تقول: – خبرني يا سيدي .. هل أخبرك صديقك عن الكيفية التي دمر بها الدير ؟

– لقد نسف ! ويخشى الفلاحون المرور أمامه خلال ساعات الليل .

– مم يخافون ؟

– توجد علامة سوداء فوق الحائط المدمر .

مالت الراهبة بجسمها قليلا إلى الأمام وهي تقول :

– خبرني يا سيدي .. خبرني بسرعة ، ماذا تشبه هذه العلامة ؟

– إنها تتخذ شكل كلب ضخم أسود يطلق عليه الفلاحون "**كلب الموت**" ..

– آه ! إذن فالأمر صحيح .. إنه حقيقي ، كل ما أتذكره صحيح .. ليس مجرد كابوس .. لقد حدث بالفعل ! لقد حدث حقا !

قال لها الطبيب بلهفة بصوت خافت :

– ما الذي حدث أيتها الأخت ؟

– لقد تذكرت ، هنالك على الدرج .. لقد تذكرت ... تذكرت الوسيلة إلى ذلك ، استخدمت الطاقة على النحو الذي اعتدناه .. وقفت على درج المذبح ،أمرتهم ألا يتقدموا خطوة واحدة ، طلبت منهم أن يعودوا في سلام ولكنهم لم يستمعوا إلي .. استمروا في تقدمهم رغم تحذيري .. لهذا ..

مالت بجسمها إلى الأمام بحركة غريبة وهي تقول :

– لهذا أطلقت عليهم "**كلب الموت**" .

ارتدت إلى الوراء لترقد على الأريكة وهي ترتجف وعيناها مغلقتان ، وقف

الطبيب وقدم لها كوبا من الماء سكب عليه قطرتين من زجاجة صغيرة كان يضعها في جيبه ، وقدم لها الكوب قائلا بلهجة الأمر :

– اشربي هذا . .

أطاعت الراهبة بطريقة آلية ، بينما تتطلع عيناها إلى شيء غير مرئي ، وقالت :

– ولكن الأمر كان حقيقيا . . كل شيء . . مدينة الدوائر . . شعب البلّورة. كل شيء . . كل شيء حقيقي .

وقال الطبيب :

– قد يبدو لك الأمر كذلك .

كان الطبيب يتحدث بصوت هامس ليشجعها على المضي في حديثها ، ثم أردف يقول :

– حدثيني عن المدينة . . مدينة الدوائر . . أليس هذا هو الاسم الذي أطلقته عليها ؟

أجابت الشابة قائلة بطريقة آلية :

– بلى . . كانت توجد ثلاث دوائر . . الدائرة الأولى للصفوة المختارة ، والثانية للراهبات ، أما الدائرة الخارجية فللرهبان .

– وماذا في الوسط ؟

تنفست الراهبة بصعوبة وهي تقول بوجل :

– مقر البلورة !

تحسست الراهبة جبينها بيدها اليمنى بينما يتابع إصبعها شكلا معينا، وبدا وكأن أصبعها يتصلب ، ثم أغلقت عينيها بينما أخذ جسدها يرتجف ، واعتدلت فجأة كأنما تفيق من حلم فظيع وهي تقول باضطراب :

– ما الأمر ؟ ماذا كنت أقول ؟

أجابها الطبيب قائلا :

– لا شيء .. أنت متعبة وتحتاجين إلى قسط من الراحة ..سوف نتركك الآن. سألني الطبيب بعد خروجنا من الكوخ :

– ما رأيك الآن ؟

أجبته ببطء قائلا :

– أعتقد أنها مشوشة العقل تماما .

– أهذا هو رأيك ؟

– حسن .. من الغريب أنك تكاد تقتنع بأنها تقول الحقيقة عندما تستمع إلى حديثها ، ويخيل إليك أنها فعلت ما تزعم أنها فعلته .. أعني أنها حققت معجزة خارقة ، وإيمانها بأنها فعلت ذلك يبدو صادقا .. هذا هو السبب .

– دعنا ننظر إلى الموضوع من زاوية أخرى .. فلنفترض أنها حققت معجزة... وأنها تمكنت بالفعل من تدمير مبنى وبضع مئات من المخلوقات البشرية .

قاطعته باسما بقولي :

– فور ممارستها للإرادة ؟

– لا أريد أن أصور الأمر على هذا النحو ، ولكنك ولا شك تتفق معي على أنه في إمكان شخص أن ينسف مجموعة من الأماكن فور الضغط على زر يتحكم في مجموعة من الألغام .

– نعم .. ولكن هذا عمل ميكانيكي .

– هذا صحيح .. ولكنه في جوهره عملية تحكم في قوى الطبيعة . وتعتبر

العاصفة الرعدية أساسا الشيء نفسه.

– ولكننا نحتاج إلى وسائل ميكانيكية لكي نتحكم في العاصفة الرعدية.

ابتسم الدكتور "روز" ثم قال:

– توجد مادة يطلق عليها اسم .. حشيشة البقول وتوجد هذه المادة في الطبيعة في شكل نباتي، ولكن الإنسان يستطيع أن يركبها في المعمل كيميائيا.

– حسن .. وبعد؟

– تتلخص وجهة نظري في أنه توجد طريقتان للوصول إلى النتيجة نفسها، وأسلوبنا هو الأسلوب التركيبي، وربما يكون هنالك أسلوب آخر .. وعلى سبيل المثال، فإن النتائج الغريبة التي يصل إليها فقراء الهنود لا يمكن تفسيرها بسهولة، وربما لم تكن الأشياء التي نصفها بأنها خارقة للطبيعة شاذة بأي حال، فالإنسان المتوحش يرى الضوء الكهربي خارقا للطبيعة، وليس الشيء الخارق للطبيعة بأكثر من شيء طبيعي لم نتوصل بعد إلى فهم قوانينه .

قلت له بانبهار :

– ماذا تعني ؟

– إنني لا أستبعد احتمال قدرة إنسان على تملك طاقة تدميرية هائلة، يمكن أن يستخدمها في تحقيق أهدافه، أما الوسيلة التي يتم بها تحقيق ذلك فقد تبدو لنا خارقة للطبيعة بينما هي في الواقع ليست كذلك .

حدقت إلى وجهه في ذهول، وضحك الطبيب ثم أردف يقول :

– هذا مجرد تصور، وإلا فخبرني هل لاحظت الإيماءة التي صدرت عن الراهبة وهي تتحدث عن مقر البلورة

– نعم .. وضعت يدها فوق جبينها .

– تماما .. ورسم إصبعها دائرة ، مثلما يفعل الكاثوليكي وهو يرسم علامة الصليب .. سوف أذكر لك الآن شيئا مسليا يا سيد "أنستروثر" .. لقد ترددت كلمة البلورة كثيرا على لسان مريضتي في أثناء هلوستها ، وقد أجريت تجربة.. استعرت بلورة من أحد الأشخاص ووضعتها أمام عيني الفتاة فجأة لأرى ردة الفعل .

– وكيف كانت ردة الفعل ؟

– تصلب كل جسدها ، وظلت تحملق إلى الكرة البلورية وكأنها لا تصدق عينيها ، ثم ركعت في خشوع أمام البلورة وهي تتمتم بكلمات خافتة ثم أغمي عليها .

– ماذا كانت كلماتها ؟

– كلمات شديدة الغرابة .. قالت : البلورة ! إذن فالإيمان لا يزال قائما !

– شيء غريب .

– نصل إلى الأمر الغريب التالي .. عندما عادت إلى صوابها كانت قد نسيت الأمر برمته .. أطلعتها على الكرة البلورية وسألتها عما إذا كانت تعرف شيئا عنها قالت إنها تعتقد أنها واحدة من تلك الكرات البلورية التي يستخدمها العرافون لقراءة الغيب . سألتها عما إذا كانت قد رأت واحدة من قبل ، وكان ردها

– لم أرها من قبل قط يا سيدي الطبيب .ولكنني رأيت نظرة حائرة في عينيها وسألتها .

– ماذا أيتها الأخت ؟

قالت :

– إن الأمر بالغ الغرابة .. إنني لم أر من قبل كرة بلورية ومع هذا يبدو لي

أنني أعرفها خير المعرفة . .هنالك شيء . . لو أنني استطعت أن أتذكر . . كان من الواضح أنها تبذل جهدا ضخما لكي تتذكر ، ومن ثم أمرتها بالكف عن المحاولة . كان ذلك منذ أسبوعين ، وسوف أجري في الغد تجربة جديدة .

– بالكرة البلورية ؟

– نعم . . سوف أطلب منها أن تركز النظر فيها وأعتقد أن النتيجة سوف تكون ممتعة .

قلت له بفضول :

– ما النتيجة التي تتوقع الوصول إليها ؟

كنت أتحدث ببراءة ، وخيل إلي أن وجه الطبيب احمر ، وأن لهجته تغيرت وهو يجيبني بطريقة رسمية قائلا :

– حالة الأخت "**ماري أنجيليك**" جديرة بالدراسة

همست لنفسي قائلا في دهشة :

هل اهتمامك بها مقصور على الناحية العلمية البحتة ؟ وقلت له بصوت مسموع :

– هل تسمح لي بحضور التجربة ؟

تردد قليلا قبل الإجابة ، وخيل إليّ أنه لا يميل إلى وجودي ، ولكنه قال أخيرا :

– تستطيع حضور التجربة ولا شك .

ثم أضاف بعد برهة :

– أعتقد أنك لن تبقى هنا طويلا . فقلت :

– حتى بعد غد . .

بدا عليه الارتياح ، ثم بدأ يتحدث عن بعض التجارب التي يجريها على الخنازير الغينية

- 3 -

التقيت بالطبيب في الموعد الذي حدده لي بعد ظهر اليوم التالي وذهبنا معاً إلى الأخت "**ماري أنجيليك**" ، ولاحظت أن الطبيب متلهف في هذه المرة إلى محو آثار تصرفه معي في اليوم السابق حيث قال لي ببشاشة :

– يجب ألا تأخذ ما قلته لك على محمل الجد .. ولا أحب أن تتصور أنني من هواة علم البصريات .

– أحقا ؟

ضحك الدكتور "**روز**" ، وعندما بلغنا الكوخ كانت الممرضة في حاجة إلى استشارته في موضوع طبي ، وهكذا وجدت نفسي وحيدا مع الأخت "**ماري**" . لاحظت أنها تتفرسني مليا ، وكانت هي البادئة بالحديث حيث قالت :

– هذه الممرضة طيبة ، أخبرتني أنك شقيق السيدة التي تملك البيت الكبير الذي أقمت فيه عند قدومي من "**بلجيكا**" .

أجبتها قائلا :

– نعم .

– لقد كانت لطيفة معي .. إنها سيدة طيبة .

التزمت الصمت برهة كأنما تستجمع أفكارها ، ثم أردفت تقول :

– والطبيب .. أليس هو الآخر رجلا طيبا ؟

قلت لها بارتباك :

– أ .. آه .. أعتقد ذلك .

– آه .. لقد كان بالغ الرقة معي ..

– أنا واثق بذلك .

نظرت إلي بحدة ثم قالت :

– سيدي .. أنت الذي تخاطبني الآن ، هل تعتقد أنني مجنونة ؟

– أيتها الأخت .. مثل هذه الفكرة لم تخطر ببالي قط .

هزت رأسها ببطء وهي تقول :

– هل أنا مجنونة ؟ إنني لا أدري .. الأشياء التي أتذكرها والأشياء التي أنساها .

تنهدت بعمق في اللحظة التي ظهر فيها الدكتور "روز" الذي حياها بمرح ، وشرح لها المطلوب منها أن تفعله قائلا :

– أنت تعرفين أن بعض الأشخاص يتميزون برؤية الأشياء في الكرة البلورية، وأنا أعتقد أنك واحدة من هؤلاء الأشخاص .

أجابته باكتئاب قائلة :

– كلا .. كلا .. لا أستطيع أن أفعل ذلك .. قراءة المستقبل إثم .

عمد الطبيب إلى تغيير أسلوبه في إقناعها بلباقة قائلا :

– لا يجب على الإنسان أن يستطلع الغيب .. أنت محقة في هذا تماما ، ولكن قراءة الماضي أمر مختلف .

– الماضي ؟!

– نعم .. توجد في الماضي أشياء كثيرة بالغة الغرابة .. ومضات تظهر للإنسان يمكن رؤيتها للحظة خاطفة ثم سرعان ما تختفي .. لا تحاولي البحث في الكرة عن أي شيء مادام ذلك غير مسموح لك .. كل ما أطلبه منك أن تمسكي الكرة بين يديك .. هكذا .. انظري خلالها بعمق .. نعم .. بعمق أكثر .. أنت تذكرين .. أنت تسمعين حديثي إليك وتستطيعين الإجابة عن أسئلتي .. هل تسمعين ما أقول لك ؟

أطاعت الأخت "ماري" أوامر الطبيب وحملت الكرة بين يديها بتوقير شديد ، ثم بدأت تحدق إليها بعينين زائغتين ، ومال رأسها كأنها نائمة .. أخذ الطبيب الكرة منها برفق ووضعها على المنضدة ، ثم رفع طرف جفنها وجلس بجواري وقال لي :

– يجب أن ننتظر حتى تستيقظ ولن يتأخر ذلك .

كان الطبييب محقا في ذلك ، لأن الراهبة استيقظت بعد خمس دقائق وقالت بصوت حالم .

– أين أنا ؟

– أنت هنا في البيت .. لقد نمت فترة قصيرة حلمت خلالها .. أليس كذلك؟

أومأت برأسها قائلة :

– نعم .. حلمت ..

– هل حلمت بالكرة البلورية ؟

– نعم ..

– حدثينا عما رأيته في الحلم .

– سوف تفكر في أنني مجنونة يا سيدي الطبيب .. لأن الكرة في الحلم كانت رمزا مقدسا .. فقد تخيلت لنفسي مسبحا جديدا .. معلّما للبلورة مات نتيجة إيمانه ، وتمت مطاردة اتباعه والتنكيل بهم ، ومع هذا فقد استمر الإيمان .

– استمر الإيمان ؟

– نعم .. مدة خمسة عشر ألف قمر كامل .. أعني مدة خمسة عشر ألف عام.

- كم تبلغ مدة القمر التام ؟

- ما يعادل ثلاثين قمرا عاديا .. نعم .. كان ذلك في القمر التام رقم 15 ألف بالتأكيد .. وكنت أنا راهبة البرج الخامس في مركز البلورة .. كان ذلك في الأيام الأولى من ظهور البرج السادس .

ضاق ما بين حاجبيها وبدأ الارتياع على وجهها ثم تمتمت قائلة :

- في القريب العاجل .. في القريب العاجل .. خطأ .. آه .. نعم .. إنني أتذكر .. البرج السادس !

كادت تقفز واقفة ولكنها ارتدت إلى مقعدها وهي تتحسس جبينها بيدها قائلة بهمس :

- ولكن ما هذا الذي أقول ؟ إنني أهذي .. لم تحدث تلك الأشياء قط .

- والآن .. أرجو الا تبتئسي.

ولكنها كانت تنظر إليه في حيرة ممزوجة بالغضب وقالت :

- سيدي الطبيب .. إنني لا أفهم لماذا أحلم هذه الأحلام .. هذه الخيالات؟ لم يكن عمري يتجاوز السادسة عشرة عندما ترهبنت .. لم يسبق لي السفر إلى أي مكان ، ومع هذا فأنا أحلم بمدن وأشخاص غرباء وعادات غير مألوفة.. لماذا ؟

- ألم يسبق لك أيتها الأخت النوم تحت تأثير التنويم المغناطيسي أو الاستسلام لحالة من الغيبوبية ؟

- لم أمر بتجربة التنويم المغناطيسي .. أما بالنسبة للحالة الأخرى ، فعندما أصلي في الكنيسة أحس كأنما انسلخت روحي من جسدي وأنني أموت بضع ساعات .. إنها إحدى حالات البركة الإلهية .. هكذا تقول الأم الموقرة .

قال الدكتور "روز" .

– أريد أن أجري تجربة أيتها الأخت ، فربما ساعدتك على التخلص من تلك الذكريات الأليمة .. سوف أطلب منك أن تركزي نظراتك مرة أخرى في الكرة البلورية ، وسوف أذكر لك كلمة معينة على أن تجيبي عنها بكلمة أخرى ، وسوف نستمر في ذلك إلى أن يحل بك التعب .. ركزي أفكارك في الكرة البلورية وليس في الكلمات .

لاحظت للمرة الثانية التوقير الشديد الذي توليه الراهبة الشابة للكرة البلورية وهي تلمسها بأصابعها ، وخيم الصمت برهة ثم قال الطبيب .

– "**كلب**" وأجابت الأخت "**ماري**" على الفور قائلة

– "**الموت**" .

- 4 -

لا أريد أن أعرض تسجيلا كاملا لما دار في الجلسة ، فقد نطق الطبيب بكلمات كثيرة لا معنى لها ، وكرر كلمات بعينها أكثر من مرة ، وكان يحصل على الإجابة نفسها في بعض المرات ، وعلى إجابة مختلفة في مرات أخرى .

جلست في تلك الليلة مع الطبيب في كوخه نناقش نتائج التجربة ، وأخرج الطبيب دفتر مذكراته ثم قال :

– هذه النتائج ممتعة للغاية وغريبة كل الغرابة .. فردا على كلمة "**البرج السادس**" كانت الإجابات المختلفة :

الدمار – أرجو أن – كلب – القوة ، ثم مرة ثانية الدمار وأخيرا القوة .. لعلك لاحظت أنني عكست الأمر بعد ذلك وحصلت على النتائج التالية .. كان الرد على "**الدمار**" بـ "**كلب**" ، وعلى "**أرجو أن**" بـ "**القوة**" ، وعلى

"**الكلب**" بـ"**الموت**" وهذه الإجابات متماسكة ، ولكن عند تكرار كلمة "**الدمار**" كان الرد : "**البحر**" ، وكان الرد على "**البرج الخامس**" هو : أفكار – طائر – أزرق ، ثم في النهاية تلك الكلمة الموحية : انفتاح عقل على عقل! ولما كان الرد على "**البرج الرابع**" هو "**أصفر**" ثم "**النور**" والرد على : "**البرج الأول**" هو : الدم، فإنني أستنتج من ذلك أن لكل برج لونا مميزا وربما رمزا معينا .. فكان الرمز للبرج الأول هو الطائر ، والرمز للبرج السادس هو الكلب.. على أية حال يخيل إلي أن رمز "**البرج الخامس**" يتمثل في "**التليباثي**" أو بمعنى آخر انفتاح عقل على عقل آخر.. ورمز "**البرج السادس**" هو بالتأكيد طاقة التدمير .

– وما معنى كلمة : بحر ؟

– أعترف لك أنني لا أستطيع تفسيرها .. عندما ذكرت لها الكلمة نفسها بعد ذلك كانت إجابتها هي الرد الطبيعي : مركب ، وعلى كلمة "**البرج السابع**" كان الرد : الحياة .. وعندما كررت الكلمة كانت الإجابة : الحب .. وكان الرد على : "**البرج الثامن**" هو : لا شيء ! وأستخلص من ذلك أن مجموع الأبراج لا يزيد على سبعة .

وقاطعته بقولي :

– ولكن "**البرج السابع**" لم يكن له وجود مادام الدمار تم خلال "**البرج السادس**" . . .

– آه .. أهذا هو رأيك ؟ولكننا نأخذ هذه الهلوسة مأخذ الجد وهي في الواقع مهمة من الناحية الطبية فحسب .

– لا شك أنها سوف تسترعي انتباه علماء الطبيعة .

ضاقت عينا الطبيب وهو يقول :

– يا سيدي العزيز ، ليست لدي نية نشر هذا البحث على الملإ .

– لماذا كل هذا الاهتمام إذن ؟

– مجرد اهتمام شخصي .. سوف أسجل مذكرات حول هذه الحالة بالتأكيد.

– أهكذا ؟ حسن .. طاب مساؤك يا دكتور .. سوف أرحل في الغد .

بدا الارتياح على وجهه بوضوح ، وتابعت حديثي قائلا :

– أتمنى لك حظا طيبا في أبحاثك .

تريثت برهة قبل أن أقول له باسما :

– أرجو ألا تطلق علي كلب الموت عندما نلتقي في المرة التالية!

كنت أصافحه في تلك اللحظة ، وأحسست برجفة تسري في يده ، ولكنه سرعان ما استعاد هدوء أعصابه ، وانفرجت شفتاه وهو يبتسم فكشفت عن أسنانه المدببة ، ثم قال :

– بالنسبة إلى رجل يعشق القوة ، يا لها من طاقة أن تمسك بين قبضة يدك روح كل كائن حي !

- 5 -

كان ذلك آخر اتصال مباشر لي بتلك القضية ، ووصلت إلى حوزتي بعد ذلك نوتة مذكرات الدكتور "روز" ، وسوف أجتزىء مقتطفات منها هنا ، ولست في حاجة إلى أن أقول إنها وصلتني بعد مضي فترة من الزمن .

5 آب (أغسطس) : اكتشفت أن ما تعنيه الأخت (م . أ) بقولها : "**الصفوة المختارة**" أولئك الذين أنجبوا الجنس .. لا شك أنهم كانوا يتمتعون بمنزلة سامية ، وأنهم كانوا يتميزون على رجال الدين .. قارن ذلك بالأيام الأولى للمسيحية .

7 آب (أغسطس) : أقنعت الأخت (م . أ) بأن تسمح لي بتنويمها تنويما مغناطيسيا ، ونجحت في دفعها إلى النوم ولكنني لم أستطع تحقيق اتصال بها ؟

9 آب (أغسطس) : هل كانت تسبقنا حضارات تعتبر حضارتنا بدائية بالنسبة إليها، غريب لو كان الأمر كذلك وأنا الإنسان الوحيد الذي يعرف هذا السر .

12 آب (أغسطس) : رغم تنويم الأخت (م . أ) مغناطيسيا بسهولة إلا أن استجابتها كانت سلبية .. لا أستطيع تحليل ذلك .

13 آب (أغسطس) : ذكرت الأخت (م . أ) اليوم أنه في حالة غيبوبتها الروحانية لابد من إغلاق البوابة .. حتى لا تتاح الفرصة لآخر في السيطرة على البدن .. أمر مثير ولكنه يبعث على الحيرة .

18 آب (أغسطس) : هكذا يكون البرج الأول مجرد .. (الكلمات ممحوة هنا) إذن ما هو عدد القرون التي ينبغي أن تنقضي حتى نصل إلى **"البرج السادس"** ؟ لكن إذا وجد طريق مختصر للوصول إلى القوة .....

20 آب (أغسطس) : عملت ترتيبا لكي تحضر (م . أ) إلى هنا مع الممرضة وأخبرتها أنه من الضروري أن تبقى المريضة تحت تأثير المخدر .. هل أنا مجنون؟ أم لعلي سوف أكون السوبرمان الذي يملك بين يديه القدرة على الإماتة ؟

(إلى هنا تنتهي المقتطفات من مذكرات الطبيب)

- 6 -

أعتقد أنه كان يوم 29 آب (أغسطس) عندما تلقيت الخطاب الذي أرسل باسمي على عنوان أختي ، وكان مكتوبا بخط أجنبي .. فتحت الظرف

بلهفة وقرأت الخطاب: سيدي العزيز .

لم أرك سوى مرتين ولكنني أحسست أنني أستطيع أن أوليك ثقتي ، وسواء أكانت أحلامي حقيقية أم وهمية فقد ازدادت وضوحا في الفترة الأخيرة ، وأود أن أخبرك يا سيدي أن كلب الموت ليس مجرد حلم .. في الأيام التي حدثتك عنها (سواء أكانت حقيقية أم غير حقيقية لا أدري) أذاع الشخص المكلف بحراسة البلورة سر "**البرج السادس**" للناس قبل الموعد ، وعندئذ دخل الشر قلوبهم ، وأصبحت لديهم القدرة على إزهاق الأرواح . كانوا يقتلون بدون مراعاة للعدالة .. أعماهم الغضب وتملكتهم شهوة القوة ، وعندما شاهدنا نحن ذلك – الأشخاص الذين ظلت قلوبهم نقية – أدركنا أنه يتحتم علينا أن نوقف إتمام الدائرة والوصول إلى عصر الخلود .. وصدرت التعليمات لحارس البلورة الجديد أن يتصرف؛ لابد أن يموت الحارس القديم . (وأطلق كلب الموت على البحر مع حرصه على ألا تغلق الدائرة) وارتفع البحر على شكل قلب وابتلع الأرض كلها . . قبل أن أتذكر هذا – وأنا واقفة على درجات المذبح في "**بلجيكا**" .

أما الدكتور "**روز**" فهو واحد من الإخوة ، وهو يعرف "**البرج الأول**" ، وشكل "**البرج الثاني**" رغم أن معناه محجوب عن الجميع فيما عدا القلة من الصفوة المختارة . كان يريد أن يعرف مني معلومات عن "**البرج السادس**" ، وقد قاومت رغبته بعض الوقت ، ولكنني ضعفت فليس من المصلحة يا سيدي أن يمتلك إنسان تلك القوة قبل الأوان المحدد .. يجب أن تنقضي بضعة قرون قبل أن يحل الوقت الذي يسمح فيه للعالم بتملك القدرة على الإماتة .. إنني أتوسل إليك ياسيدي ، أنت الذي تحب الطيبة والحقيقة – أن تساعدني قبل أن يفوت الأوان.

أختك في المسيح

"**ماري أنجيليك**"

سقط الخطاب من يدي على الأرض .. أثر في إيمان الراهبة ، وأصبح الأمر واضحا تمام الوضوح أمام عيني ، لقد أساء الدكتور "روز" استخدام حقه كطبيب ، ولابد لي أن أسرع لكي . . .

لاحظت فجأة بين مجموعة الخطابات التي وصلتني رسالة بخط "**كيتي**" فضضت الظرف بسرعة وبدأت أقرأ :

"حدث شيء رهيب .. هل تذكر كوخ الدكتور "روز" الذي يقع على حافة الصخرة .؟ لقد اجتاحه جرف وأزاله من الوجود في الليلة الماضية ، ولقي الطبيب البائس والممرضة والأخت "**ماري أنجيليك**" مصرعهم .. أما منظر الحطام فهو بشع للغاية ، حيث أكوام الحطام تتخذ شكل قلب ضخم " .

سقط الخطاب من يدي .. ربما كانت الحقائق الأخرى محض مصادفة .. مات شخص يدعى السيد "روز" فجأة . وقد اكتشف أنه قريب بالغ الثراء للدكتور "روز" ..

مات في الليلة نفسها، ويقال: إن صاعقة أصابته ، وعلى قدر المعلومات المتاحة لم يسمع أحد عن وقوع صاعقة في المكان الذي لقي فيه السيد "روز" حتفه ، إلا أن شخصا أو شخصين في المنطقة المجاورة قررا أنهما سمعا قصفة واحدة للرعد ، وقد عثر في جسمه على حرق غريب الشكل نتيجة تعرضه لشحنة كهربية ، وبموجب الوصية التي تركها آلت ثروته كلها إلى الدكتور "روز" ابن أخيه.

والآن .. فلنفترض أن الدكتور "روز" نجح في الحصول من الأخت "**ماري أنجيليك**" على سر البرج السادس ، فقد كنت أشعر على الدوام أنه رجل دنيء، وأنه لم يكن ليتورع عن قتل عمه لو أنه عرف أن الثروة لن تؤول إليه .. إلا أن كلمة واحدة من كلمات "**ماري**" تدوي في أذني :

"مع حرصه على ألا تغلق الدائرة .. ولكن الدكتور "**روز**" لم يكن حذرا من هذه الناحية ، وربما لم يكن واعيا بالخطوات التي يجب عليه اتخاذها ، أو مجرد الحاجة إلى اتخاذها ، لهذا عادت القوة التي استخدمها لتكمل الدورة..

ولكن الأمر كله لا يعدو أن يكون خرافة ! ويمكن تعليل الأحداث بطريقة منطقية .. كان الدكتور "**روز**" يعتقد أن هلوسة الأخت "**ماري أنجيليك**" تثبت أنه بدوره مختل العقل .. ورغم هذا فإنني أحلم في بعض الأحيان بقارة تحت البحار ، حيث كان يعيش قوم وصلوا في فترة من الزمان إلى حضارة ضخمة تتضاءل أمامها حضارتنا الراهنة .

أم هل كان للراهبة ملكة تذكر أحداثا جرت في الماضي – ويقول البعض : إن هذا ممكن . وهل تعتبر مدينة الدوائر موجودة في المستقبل وليس في الماضي عبثا؟ .. إن الأمر كله لا يعدو أن يكون مجرد هذيان .

الغجرية

كان "**ماكفارلين**" يلاحظ في مناسبات عديدة نفورا غريبا من جانب صديقه "**ديكي كاربنتر**" للغجر ، ولم يكن يجد تعليلا مقبولا ، ولكن الأسباب سرعان ما تكشفت له عندما فسخ صديقه خطبته من "**أستير لاوز**" . .

كان "**ماكفارلين**" خطيبا للشقيقة الصغرى "**راشيل**" منذ عام ، وكان يعرف كلتا الفتاتين منذ الطفولة ، ولم يكن على استعداد للاعتراف بإعجابه الشديد بـ"**راشيل**" ذات الوجه الطفولي والعينين اللتين تشع منهما البراءة . . لم تكن تداني "**أستير**" جمالا ، ولكنها كانت ولا شك أكثر عذوبة وصدقا ، وازدادت عرى الصداقة توثقا عندما تمت خطبتهما للأختين .

والآن . . فسخت الخطبة بعد أسابيع قليلة . . كانت حياة "**ديكي**" تجري بسهولة منذ شبابه المبكر عندما التحق بالبحرية التي يهواها منذ صباه ، وكان من الأشخاص الذين يتمسكون بالعقل ولا يسمحون للعاطفة بالتحكم في تصرفاتهم . . أخذ "**ماكفارلين**" يستمع وهو يدخن إلى صديقه الذي تتدفق الكلمات كالسيل من بين شفتيه ، وداخله إحساس بأنه سوف يستمع إلى نبإ غير سار ، ولكن الذي سمعه كان شيئا مختلفا ، لم يتطرق الحديث في البداية إلى "**أستير لاوز**" ، وبدت القصة كأنها مجرد فزع صبياني . . قال "**ديكي**" :

– تبدأ القصة عندما كنت طفلا . . لم يكن مجرد كابوس . . كانت غجرية . . وأنت تعرف كثرة ظهور الغجريات في الأحلام حتى في الأحلام المفرحة . . كنت أستمتع بتلك الأحلام إلى أبعد الحدود ، وكنت أحس أنني

لو رفعت بصري ، فسوف أراها .. واقفة كما كانت تقف دائما تراقبني .. بعينيها الحزينتين ، كأنما تعرف شيئا لا أفهمه .. لا أدري لماذا كنت أرتجف.. وكنت أستيقظ في كل مرة مفزوعا ، وتقول لي المربية :

– هكذا عدت تحلم مرة أخرى يا سيد "**ديكي**" بالغجريات !

– هل كنت ترتاع عند رؤية الغجر الحقيقيين ؟

– لم أكن قد رأيت حتى ذلك الحين واحدة من الغجريات .

كنت أبحث عن كلبي الصغير الذي هرب من البيت ..اجتزت باب الحديقة وخرجت إلى الغابة المجاورة للبيت ..

ووصلت إلى منطقة مكشوفة حيث يوجد جسر خشبي مقام فوق ترعة ، وكانت تقف أمام مدخل الجسر مباشرة غجرية تضع فوق رأسها منديلا أحمر.. الغجرية نفسها التي كنت أراها في الحلم .. كانت ترمقني بالنظرات نفسها ..كأنها تعرف شيئا أجهله ، ثم قالت لي بمنتهى الهدوء وهي تومىء لي برأسها :

– لو أنني كنت مكانك ما مررت بهذا الطريق .. ارتعدت لكلماتها ومع هذا استأنفت سيري نحو الجسر .. كان الجسر متآكلا وهوى تحت ثقل جسدي وسقطت في الترعة وأشرفت على الغرق .. لم أستطع أن أنسى ذلك الحادث قط وداخلني شعور بأن مرجع ذلك إلى الغجرية .. أخبرتك بذلك الحلم ليس لأن له صلة بما حدث بعد ذلك – أنا شخصيا أعتقد هذا – ولكنني رويته لك لأنه كان نقطة البدء في الأحداث التالية ..

ولعلك تدرك الآن ما أعنيه بالإحساس بالغجرية .. لهذا سوف أعود إلى تلك الليلة التي ذهبت فيها إلى بيت أسرة "**لاوز**" لأول مرة في أعقاب عودتي إلى "**إنجلترا**" .. كانت تربط أسرتي وأسرة "**لاوز**" أواصر الصداقة ، ولم أكن

قد شاهدت الفتاتين منذ كنت في السابعة ، ولكن "**آرثر**" الصغير كان صديقا حميما لي ، واعتادت "**أستير**" أن تراسلني بعد موت "**آرثر**" .. كانت تكتب لي خطابات لطيفة للغاية تدخل البهجة على قلبي ، وكنت في أشد الاشتياق للالتقاء بها ، لهذا كان الذهاب إلى بيت "**لاوز**" أول ما خطر على بالي .. لم تكن "**أستير**" في البيت لحظة وصولي ، وقيل لي : إنها سوف تعود في المساء ، جلست في أثناء العشاء بجوار "**راشيل**" ، وبينما كنت أستعرض المائدة الطويلة بنظراتي أحسست بإحساس غريب أشعرني بالضيق .. وعندئذ رأيتها ..

– من التي رأيتها ؟

– السيدة "**هاورث**" .. كانت تختلف تماما عن الموجودين ..

كانت تجلس بجوار "**لاوز**" العجوز ، وكانت تلف رقبتها بمنديل أحمر من التل يبدو للناظر كأنه ألسنة اللهيب .. وقلت لـ"**راشيل**" :

– من تلك السيدة التي تضع حول رقبتها منديلا أحمر ؟

قالت "**راشيل**" :

– تعني "**أليستير هاورث**" .. إنها ترتدي منديلا أحمر ولكنها إنسانة بالغة الرقة، ولقد كانت كذلك في الواقع .. كان شعرها أصفر رغم أنني كنت واثقا من أنني رأيته أسود في المرة الأولى .. كم يكون البصر خداعا في بعض الظروف قامت "**راشيل**" بواجب التعارف بعد العشاء ، وسرنا نحو الحديقة ، ودار الحديث بيننا عن تناسخ الأرواح .

– ولكن هذا الموضوع بعيد عن دائرة اهتماماتك يا "**ديكي**" !

– أعتقد أن هذا صحيح .. وأذكر أنني أبديت دهشتي لشعور الإنسان عندما يلتقي بشخص لأول مرة كأنما يعرفه منذ زمن بعيد .. وقالت

– تقصد العشاق . .

لاحظت رنة غريبة في طريقة حديثها ، وذكرني ذلك بأمر لم أستطع أن أتذكره على وجه التحديد . . ودار الحديث فترة حتى نادانا "**لاوز**" العجوز من الداخل قائلا : إن "**أستير**" عادت وتريد رؤيتي . . وضعت السيدة "**هاورث**" يدها فوق ذراعي وقالت :

– سوف تذهب إلى الداخل ؟

قلت :

– نعم ، وقالت :

– لو أنني كنت مكانك ما دخلت الآن !

أفزعتني كلماتها أشد الفزع . . لأنها كانت تتحدث بمنتهى الهدوء ، وكأنها تعرف شيئا لا أعرفه . . لم تكن المسألة أنها امرأة بالغة الجمال تريد أن تستبقيني معها في الحديقة . . كان صوتها بالغ الرقة فيه رنين الأسى الشديد، كأنها تعرف ما سوف يحدث . . اعتقدت أن ما أفكر فيه حماقة وأدرت لها ظهري وأسرعت إلى داخل المنزل، وأدركت في تلك اللحظة أنني كنت خائفا منها . . وأحسست بالراحة عندما التقيت بأفراد أسرة "**لاوز**" ووجدتني وجها لوجه أمام "**أستير**" .

تردد "**ديكي**" برهة ثم أردف يقول :

– لم يكن هناك أدنى شك أنها سكنت قلبي منذ النظرة الأولى . .

ارتسمت في ذهن "**ماكفارلين**" صورة "**أستير**" التي وصفها "**ديكي**" ذات مرة بأنها الجمال اليهودي الكامل . . بقامتها المديدة وفتنتها الطاغية وشعرها الأسود الغزير . . لم يدهش لأن "**ديكي**" استسلم بدون شروط ، ثم قال "**ديكي**" :

– والذي حدث بعد ذلك أننا ارتبطنا بالخطبة .

– في الحال ؟

– كلا .. بعد حوالي أسبوع .. ولم ينقض أسبوعان حتى اكتشفت أنها لا تهتم بي ..

ضحك "**ديكي**" ضحكة مريرة ثم استرسل قائلا :

– حدث ذلك في الليلة السابقة لرجوعي إلى سفينتي القديمة .. كنت أسلك الغابة في طريق عودتي من القرية عندما رأيتها .. أعنى السيدة "**هاورث**" .. وقفزت فزعا عند رؤيتها تضع فوق رأسها منديلا أحمر .. وأنت تذكر أنني رويت لك حلمي ومن ثم تدرك سبب فزعي .. سرنا معا نتحدث بعض الوقت .. وعندما اقتربنا من البيت قالت لي :

– أنت تتعجل الدخول .. لو أنني كنت مكانك ما تعجلت الدخول .. أدركت في تلك اللحظة أن شيئا كريها في انتظاري .. وبمجرد دخولي أخبرتني "**أستير**" بأنها اكتشفت أنها لا تحبني ..

وسأل "**ماكفارلين**" :

– وماذا بشأن السيدة "**هاورث**" ؟

– لم أرها قط قبل هذه الليلة .

– الليلة ؟

– نعم .. رأيتها أمام باب مستشفى الدكتور "**جوني**" . كانوا يريدون فحص ساقي التي أصيبت في حادث إطلاق الطوربيد ، ولقد كنت أشكو منها خلال الفترة الأخيرة .. ونصحني الطبيب بإجراء عملية قائلا إنها عملية بسيطة ، وبينما كنت أغادر المكان اصطدمت بممرضة ترتدي مريلة حمراء فوق زيها الرسمي وقالت لي :

– لو أنني كنت مكانك ما وافقت على إجراء العملية ! ثم اكتشفت أنها السيدة "**هاورث**" ، وانصرفت مسرعة قبل أن أستوقفها .. والتقيت بممرضة

أخرى سألتها عنها ، ولكنها أخبرتني أنه لا توجد في المستشفى ممرضة بهذا الاسم. أمر غريب .

– هل أنت واثق بأنها كانت السيدة "**هاورث**" ؟

– نعم .. أنت تعلم أنها جميلة للغاية .. على أي حال أنا سعيد لأنني حدثتك قبل ذلك عن قصة الغجرية ..

- 2 -

توجه "**ماكفارلين**" نحو البيت الذي يقع عند رأس التل ، ثم ضغط على زر الجرس ، وعندما فتحت له خادمة الباب قال :

– هل السيدة "**هاورث**" في المنزل ؟

– نعم يا سيدي ..

تركته الخادمة في غرفة فسيحة تطل على البراري ، وسمع صوتا من إحدى حجرات الدور العلوي يغني :

كانت المرأة الغجرية

– التي تقيم في البراري ..

انقطع الغناء مرة واحدة ، وأحس "**ماكفارلين**" أن دقات قلبه تكاد تتوقف .. ثم فتح باب الغرفة .. وتسمر "**ماكفارلين**" في مكانه وهو يتأمل ذلك الجمال الفتان. كان يتوقع أن يرى غجرية سمراء .. وتذكر وصف "**ديكي**" لها .. إنه جمال نادر قل أن يوجد له نظير .. تمالك هدوء أعصابه ، وتقدم نحوها قائلا :

– ربما لم نتعارف من قبل ، ورغم أنني حصلت على عنوانك من "**لاوز**" ، إلا أنني صديق لـ "**ديكي كاربنتر**" ..

ظلت تتفحصه بنظراتها مدة دقيقة أو دقيقتين ، ثم قالت :

– أوشكت أن أخرج إلى البراري .. هل تحب أن تصحبني ؟

فتحت الشرفة ثم خطت إلى الخارج و "**ماكفارلين**" يتبعها ، ولمح رجلا بدينا تلوح عليه أمارات الغباء يدخن وهو جالس على أحد المقاعد ، وقالت :

– زوجي ! سوف نذهب في نزهة قصيرة إلى البراري يا "**موريس**" .. وسوف يتناول السيد "**ماكفارلين**" الغداء معنا بعد عودتنا .. أليس كذلك ؟

قال "**ماكفارلين**" :

– شكرا لك ..

وبينما كان يسير خلفها في البراري ، همس لنفسه :

لماذا ؟ لماذا بحق السماء تتزوج رجلا كهذا ؟

شقت "**أليستير**" طريقها نحو بعض الصخور قائلة :

– سوف نجلس هناك ، وسوف تحدثني عما جئت لتقوله لي ..

– هل تعرفين ؟

– إنني أعرف دائما عندما تكون الأخبار السيئة في الطريق .. أليست أخبارا سيئة عن "**ديكي**" ؟

– أجريت له عملية جراحية صغيرة ، وتمت العملية بنجاح تام ، ولكن يبدو أن قلبه كان ضعيفا لأنه مات تحت تأثير المخدر .

وسمعها تتمتم قائلة :

– مرة أخرى .. الانتظار .. فترة طويلة .. فترة طويلة .

ثم رفعت رأسها قائلة له :

– نعم .. ماذا كنت تنوي أن تقول ؟

– مجرد هذا .. لقد حذرته إحداهن من إجراء هذه العملية .. ممرضة .. وكان يعتقد أنها أنت .. هل كنت أنت حقا ؟

هزت رأسها نفيا وهي تقول :

– لا .. لم أكن أنا ولكن ابنة عمي ممرضة .. ويمكن أن تبدو شبيهة بي في الضوء الخافت .. ربما كانت هي التي رآها .. ما أهمية ذلك على أي حال ؟

سكتت برهة ثم اتسعت عيناها فجأة وأخذت نفسا عميقا ثم قالت :

– أوه .. كم هو مضحك ! إنك لا تفهم ....

اعترت الحيرة "**ماكفارلين**" ، وكانت لاتزال تتفرس في وجهه وقالت :

– كنت أعتقد أنك تفهم .. كان ينبغي أن تفهم ..إنك تبدو كأنك تمتلكها أنت أيضا .

– أمتلك أي شيء ؟

– العطية واللعنة ، سمها ما شئت .. أعتقد أنك تمتلكها .. ركز نظراتك على ذلك التجويف في الصخور ..

لا تفكر في أي شيء آخر .. آه .. حسن .. هل رأيت شيئا ؟

– ربما كان مجرد تخيل .. لقد رأيت التجويف برهة وجيزة مملوءا بالدم .

أومأت برأسها وهي تقول :

– كنت أعرف أنك تمتلكها ..

هذا هو المكان الذي كان يقدم فيه عبدة الشمس القرابين ..

عرفت ذلك قبل أن يخبرني به أحد ، وتمر بي أوقات أعرف فيها كيف كانت مشاعرهم حول ذلك ، كأني كنت حاضرة معهم .. من الطبيعي أن تكون لدي هذه الموهبة . فكثيرون من أفراد عائلتي لديهم القدرة على استطلاع الغيب ، وكانت أمي وسيطة روحية عندما تزوجها أبي .. كان اسمها كريستين ، وكانت لها شهرة واسعة .

– هل تعنين بالعطية القدرة على التنبؤ بأشياء قبل حدوثها ؟

– نعم .. بالنسبة إلى الماضي والمستقبل على السواء ..

وعلى سبيل المثال رأيتك تتعجب وأنت تسأل نفسك :

لماذا تزوجت "**موريس**" .. آه نعم .. لقد فعلت ذلك! السبب باختصار أنني كنت أعرف أن شرا مستطيرا يتربص به ومن ثم أردت أن أنقذه من ذلك الشر .. هذا هو طبع النساء .. مع العطية التي أمتلكها فقد تكون لدي القدرة على منع وقوع ذلك الشر .. هذا إذا كان في استطاعة الإنسان أن يفعل ..

لم يكن في استطاعتي مساعدة "**ديكي**" ، لأن "**ديكي**" لم يستطع أن يفهم .. كان خائفا وكان صغيرا للغاية .

– كان في الثانية والعشرين من عمره .

– وأنا في الثلاثين .. ولكنني لم أقصد هذا .. توجد طرق عديدة لتقسيم الإنسان بالطول والعرض والعمق ..ولكن أسوأ الطرق تقسيمه بالزمن ..

أخلدت إلى الصمت فترة طويلة قبل أن تسمع قرعا من داخل المنزل إيذانا بحلول موعد الغداء . وفي أثناء تناول الطعام أخذ "**ماكفارلين**" يراقب "**موريس**" خفية ، وأدرك أنه يحب زوجته حبا جنونيا ، ولاحظ "**ماكفارلين**" أيضا رقة استجابتها للزوج ، واستأذن بعد تناول الغداء قائلا :

– سوف أبقى في الفندق مدة يوم أو يومين .. هل أستطيع أن آتي للزيارة في الغد مرة أخري ؟

– بالتأكيد .. ولكن

– ولكن ماذا ؟

مرت بيدها بسرعة فوق عينيها وهي تقول :

– لا أدري .. كنت أتخيل أننا لن نلتقي مرة أخرى ..هذا كل ما في الأمر.. في رعاية الله .

سار "**ماكفارلين**" في الطريق على مهل . وأحس على الرغم منه بيد باردة تضغط بشدة على قلبه .. ومرت سيارة مسرعة بجانبه ، وارتمى على السور في لحظة خاطفة ليتفادى السيارة .. وعلت وجهه صفرة الموت ..

- 3 -

همس "**ماكفارلين**" لنفسه وهو يستيقظ صباح اليوم التالي :

يا إلهي ! إن أعصابي مضطربة للغاية .. واستعرض في ذهنه الأحداث التي وقعت له بعد ظهر اليوم السابق .. حادث السيارة المسرعة ، وتفكيره في اختصار الطريق في أثناء عبوره منطقة البراري ، ثم الضباب المفاجئ الذي هبط ، ونسيانه وجود مستنقع خطر في الطريق .. ثم غطاء فوهة مدخنة الفندق الذي سقط فجأة ، ورائحة الاحتراق التي شمها في خلال الليل واكتشف أنها صادرة من السجادة المشتعلة . كل تلك الأحداث لا قيمة لها ! لا شيء فيها على الإطلاق ولكن كلماتها ، ولهجة الثقة التي كانت تتحدث بها مما يؤكد له أنها كانت تعرف ..

أزاح الغطاء بنشاط مفاجئ .. سوف يكون أول شيء يفعله هذا الصباح أن يذهب لمقابلتها ، فربما تسبب ذلك في التخلص من اللعنة .. هذا إذا قدر له أن يصل سالما .. يا إلهي .. كم كان إنسانا أحمق !

تناول فطورا خفيفا ، وفي العاشرة كان يسير في الطريق ..

وفي منتصف الحادية عشرة كان يضغط بيده على جرس الباب ، وقال للخادمة :

– هل السيدة "**هاورث**" في الداخل ؟

قالت الخادمة التي يفيض وجهها بالأسى :

- أوه ! أنت لم تسمع بالنبإ إذن يا سيدي؟

- أي نبإ؟

- السيدة "**أليستير**" .. الحمل الوديع .. كان سبب الوفاة الدواء المقوي الذي تتناوله كل ليلة .. زوجها التعس يكاد يجن .. فقد كان هو الذي أعطاها الزجاجة الخاطئة ، أرسلوا للطبيب ولكنه وصل بعد فوات الأوان ، طافت برأسه في الحال كلماتها : كنت أعلم دائما أن شرا مستطيرا يحلق فوق رأسه .. ومن ثم أردت أن أنقذه من ذلك الشر .. هذا إذا كان في استطاعة الإنسان أن يمنع القضاء ..

آه .. ولكن أحدا لا يستطيع أن يمنع القدر .. لقد دمرت موهبة استطلاع الغيب من حيث كانت تريد المساعدة .. واسترسلت الخادمة تقول :

- حملي الوديع المسكينة ! كانت شديدة الرقة وكان يسوءها أن ترى إنسانا يواجه المتاعب .. لم تكن لتتحمل آلام الآخرين ..

ترددت الخادمة برهة ثم أردفت تقول :

- هل تحب أن تصعد لتراها يا سيدي ؟ أعتقد أنك - مما كانت تقوله عنك

- صديق كان يعرفها منذ زمن بعيد ، منذ زمن بعيد للغاية .. هذا ما كانت تقوله..

تبع "**ماكفارلين**" الخادمة العجوز وهي تصعد الدرج إلى غرفة تقع فوق غرفة الاستقبال التي سمع منها صوت "**أليستير**" وهي تغني من قبل ، وكان في الغرفة زجاج للنوافذ تعلوه بعض البقع وهو يلقي ضوءا أحمر فوق السرير ، حيث ترقد غجرية تضع فوق رأسها منديلا أحمر .. تخريف .. لا شك أنه كان يتخيل مالا وجود له .. وألقى عليها نظرة طويلة أخيرة ..

- 4 -

– هناك سيدة ترغب في مقابلتك يا سيدي ..

تطلع "**ماكفارلين**" إلى صاحبة البيت وهو يقول لها باضطراب :

– معذرة يا سيدة "**روز**" .. كنت أتخيل رؤية أشباح .

– أحقا يا سيدي ؟ عادة ما يشاهد الإنسان في البراري أشياء غريبة بعد هبوط الظلام .. هناك السيدة البيضاء والحداد الشيطان والبحار والغجرية .

– ماذا كنت تقولين ؟ البحار والغجرية ؟

– هكذا سمعتهم يقولون .. كانت قصة مشهورة في أيام طفولتي ..

– لا يدهشني أن تسمعي المزيد من تلك القصص الآن .

– يا إلهي ! يا لها من أشياء . تلك التي تتحدث عنها ! هل تدور القصة حول تلك السيدة الشابة

– أية سيدة شابة ؟

– السيدة التي ترغب في مقابلتك .. إنها في غرفة الجلوس .. الآنسة "**لاوز**" .. هذا هو الاسم الذي ذكرته .

– أوه !

"**راشيل**" ! أحس بشعور غريب مختلف عن كل المشاعر التي كان يحس بها منذ قليل .. لقد كان يحوم في عالم آخر . ونسي كل شيء عن "**راشيل**" ، لأن "**راشيل**" تنتمي إلى هذا العالم وحده ..

فتح باب غرفة الجلوس فطالعته "**راشيل**" بعينيها اللتين تشع منهما البراءة والإخلاص ، وفجأة كالرجل الذي يفيق من حلم ، أحس بموجة عاصفة من الفرحة تغمره .. إنه حي! إنه على قيد الحياة ، وهمس بصوت خافت "**راشيل**" ! ورفع ذقنها ليطبع على شفتيها قبلة حارة .

المصباح

كان البيت عتيقا تفوح منه رائحة الماضي ، وكانت تسري في غرفه وردهاته وقاعاته برودة . كانت بيوت المنطقة كلها تمت إلى الماضي ، ولكن رقم 19 كان أكثرها قدما وبرودة ..

لو أن بيتا كهذا كان يوجد في أي مدينة أخرى لقيل إنه مسكون ، إلا أن البيت رقم 19 لم يطلق عليه قط أنه مسكون ، ورغم هذا فقد ظلت تعلق عليه عاما بعد عام لافتة تقول : إن البيت معروض للإيجار أو البيع ..

نظرت السيدة "**لانكاستر**" إلى البيت بارتياح وهي تسير مع السمسار الثرثار ، الذي كانت تبدو على وجهه أمارات الفرحة الطاغية ، لأن البيت قدر له أخيرا أن يشطب من دفاتره ، وقالت السيدة "**لانكاستر**" :

– منذ متى ظل البيت خاليا ؟

اضطرب السيد "**راديش**" قليلا ثم قال متلعثما :

– أ .. منذ .. منذ بعض الوقت .

وقالت السيدة "**لانكاستر**" بجفاف :

– هذا ما تصورته ..

كانت الصالة ذات الإضاءة الخافتة باردة ، ولو أن سيدة أخرى تجولت فيها لسرت البرودة في جسدها، ولكن هذه السيدة كانت عملية للغاية ، كانت طويلة ذات شعر بني يميل إلى السواد بدأت الشعيرات الرمادية تتسلل إليه ، وعيناها زرقاوان هادئتان .. استمرت السيدة "**لانكاستر**" في جولتها لتشاهد الغرف المقامة في السطح ، وعندما انتهت من جولتها عادت إلى إحدى الغرف التي تطل على الميدان ، وواجهت السمسار بعزم قائلة :

ـ ما قصة هذا المنزل ؟

فوجىء السيد "**راديش**" بالسؤال ، وقال بعد برهة :

ـ كل البيوت تكون كئيبة بعض الشيء عندما تكون عارية من الأثاث ..

قالت السيدة "**لانكاستر**" :

ـ عبث ! إيجار البيت منخفض للغاية .. إيجار اسمي .. ولابد أن يكون لذلك سبب .. هل البيت مسكون ؟

ارتعد السيد "**راديش**" ولم يقل شيئا ، رمقته السيدة "**لانكاستر**" بنظرة حادة ، ثم قالت :

ـ مسألة الأشباح عبث على أي حال .. .. فأنا لا أومن بالأشباح ، أو بالأشياء التي من هذا القبيل ، ولن يكون ذلك سببا لتركي البيت ، ولكن الخدم لسوء الحظ يؤمنون بهذه الخرافات ويرتعدون خوفا ، ولهذا أطلب منك أن تخبرني بالقصة الحقيقية .. ما الشيء المفروض أنه ينتاب هذا المسكن ؟

قال السمسار متلعثما :

ـ أ .. أنا .. في الواقع لا أعرف .

قالت السيدة "**لانكاستر**" بهدوء :

ـ أنا واثقة بأنك تعرف .. لا أستطيع استئجار البيت دون أن أعرف الحقيقة .. ماذا كان السبب ؟ جريمة قتل ؟

صاح السيد "**راديش**" بانفعال :

ـ أوه .. كلا .. كان مجرد طفل .

ـ طفل ؟

ـ نعم .

ـ لا أعرف القصة على وجه التحديد ، فالروايات كثيرة ، ولكنني

سمعت أن رجلا يدعى "**ويليامز**" استأجر البيت منذ ثلاثين عاما .. لم يكن أحد ليعرف شيئا عن ماضيه .. كان يقيم وحده في البيت بدون خدم .. ولم يكن له أصدقاء كان يغادر البيت في أثناء النهار ، وكان له طفل وحيد .. طفل صغير .. وبعد حوالي شهرين من إقامته في البيت ، ذهب إلى "**لندن**" ، وما كاد يصل إلى العاصمة حتى تم التعرف عليه باعتباره مجرما تطارده الشرطة ، ويبدو أن جرمه كان خطيرا ، لأنه بدلا من الاستسلام للشرطة ، أطلق الرصاص على نفسه .. كان لدى الطفل الذي يقيم وحده في البيت كمية محدودة من الطعام ، ظل الطفل ينتظر عودة أبيه يوما بعد يوم ولسوء حظه كانت التعليمات الصادرة له من أبيه ألا يغادر البيت مهما تكن الظروف ، أو يتحدث مع إنسان .. وكان المخلوق الصغير ضعيفا معتل الصحة ، ولم يكن في استطاعته أن يخالف أوامر أبيه ، وكان الجيران يسمعون الطفل في أثناء الليل يبكي بكاء حارا حتى يتفطر قلبه ..

سكت السيد "**راديش**" قليلا ثم استأنف حديثه قائلا :

– أ .. والذي حدث أن الطفل مات من الجوع ..

قال السمسار ذلك كمن يعلن عن بدء تساقط المطر .

وسألت السيدة "**لانكاستر**" :

– والمفروض أن شبح الطفل هو الذي يسكن البيت ؟

تردد السيد "**راديش**" برهة قبل أن يقول :

– أ .. لا شيء يرى في المنزل .. يقول الناس : إنهم يسمعون بكاء الطفل فقط .

تحركت السيدة "**لانكاستر**" نحو الباب الأمامي وهي تقول :

– إنني أميل إلى هذا البيت .. ولن أحصل على أفضل منه بهذا الإيجار ، سوف أفكر في الأمر ثم أعاود الاتصال بك ..

*****

قالت السيدة "**لانكاستر**" وهي تدير بصرها في المكان بإعجاب :

– ألا يبدو المنزل بهيجا يا أبي ؟

تم فرش البيت بالأثاث اللامع والسجاجيد ذات الألوان الزاهية ، وتغير مظهره بشكل واضح .. كانت السيدة "**لانكاستر**" توجه حديثها إلى رجل عجوز نحيل متهدل الكتفين تتألق في عينيه نظرات غامضة .. كان السيد "**وينبورن**" مختلفا تمام الاختلاف عن ابنته ، فقد كان خياليا بعكس ابنته الواقعية ، وقال لها باسما :

– نعم .. لم يكن أحد ليحلم بالإقامة في بيت مسكون !

– بابا .. لا تقل هذا العبث في اليوم الأول !

ابتسم السيد "**وينبورن**" وقال :

– حسن يا عزيزتي .. سوف نتفق على أنه لا توجد أشياء مثل الأشباح .

– وأرجو ألا تقول شيئا من هذا أمام "**جيوف**" ، فهو ذو عقلية غارقة في الخيال .

كان "**جيوف**" هو الابن الصغير للسيدة "**لانكاستر**" ، وكانت الأسرة تتكون من السيد "**وينبورن**" وابنته الأرملة و"**جيوفري**" .. بدأت قطرات المطر تتساقط على النافذة – "**بيتر باتر**" .. "**بيتر باتر**" .. وقال السيد "**وينبورن**" معلقا على الصوت :

– هل تسمعين ؟ أليس هذا الصوت مشابها لوقع خطوات شخص صغير ؟

قالت السيدة "**لانكاستر**" باسمة :

– بل هذا صوت المطر . .

قال الأب وهو يرهف أذنيه :

– ولكن هذا صوت خطوات . .

اعتدلت السيدة "**لانكاستر**" وهي تقول :

– وقع أقدام "**جيوف**" وهو يهبط الدرج .

اضطر السيد "**وينبورن**" أن يشاركها الضحك ، وقد كانا يتناولان الشاي في الصالة ، وكان يدير ظهره للسلم ، وقد استدار في تلك اللحظة ليواجه السلم . . كان "**جيوفري**" الصغير يهبط درجات السلم ببطء وخطوات منتظمة ، بحذر الطفل الذي يتعامل مع مكان جديد ، وكانت درجات السلم من خشب البلوط العارية من السجاد . . هبط الصبي ليقف بجوار أمه، وبينما كان الصبي يخطو على أرض الصالة ، شهق السيد "**وينبورن**" بارتياع، فقد سمع بوضوح وقع خطوات طفل يهبط الدرج ، وكأن شخصا يتبع "**جيوفري**" ، وهو يجر ساقيه جرا . . وهز السيد "**وينبورن**" كتفيه وهو يقول في دهشة :

– ربما كان صوت المطر . . وقال الصبي لأمه :

– أريد أن أتذوق هذا الكعك .

سارعت الأم لتلبية رغبة ابنها ثم سألته باهتمام :

– حسن يا بني . . هل تحب البيت الجديد ؟

وقال "**جيوفري**" وفمه ممتلئ بالطعام :

– أحبه جدا جدا .

انتظر الصبي برهة حتى يمضغ الطعام ثم أردف يقول :

– أوه يا مامي .. توجد غرف كثيرة في السطح ، وتقول مربيتي "**جين**" : إنني أستطيع أن أستكشفها ، وربما عثرت على باب سحري .. تقول "**جين**" : إنه لا توجد أبواب سحرية ولكنني أعتقد أنني سوف أعثر على واحد .. على أية حال أعرف أنه توجد في السطح مواسير كثيرة .. مواسير مياه .. وبوسعي أن ألعب بها .. وهل أستطيع أن أشاهد الغلاية ؟

قالت السيدة "**لانكاستر**" :

– سوف نفكر يا عزيزي في أمر غرف السطح غدا ..

ما رأيك الآن في أن تلهو بلعبة المكعبات وتبني لنفسك بيتا أو آلة ؟

قال له جده :

– ما رأيك في بناء غلاية ؟

أشرق وجه "**جيوفري**" وقال :

– أصنعها بالمواسير ؟

– نعم .. بعدد كبير من المواسير .

انصرف الصبي مسرعا ليبحث عن اللعبة .. كان المطر لا يزال يتساقط .. أرهف السيد "**وينبورن**" أذنيه .. نعم ربما كان الصوت لقطرات المطر ، ومع هذا فهو يسمع وقع أقدام بوضوح .

حلم العجوز بحلم غريب في تلك الليلة .. حلم أنه يمشي في مدينة ضخمة، ولكنها مدينة أطفال ، فكل سكانها من الأطفال .. ورأى جميع الأطفال في الحلم يندفعون نحو الغريب القادم صائحين : هل أحضرته معك ؟ وكان يبدو أنه يفهم ما يقصدونه ، هز رأسه في أسف ، وعندما رآه الأطفال أداروا له ظهورهم وهم يبكون بكاء مرا ...

بهتت صورة المدينة والأطفال ، واستيقظ العجوز ، فوجد نفسه في سريره،

ولكن نشيج الأطفال كان لا يزال يرن في أذنيه ، ورغم أنه كان في كامل وعيه، إلا أن أصوات البكاء كانت مسموعة بوضوح ، وتذكر الجد أن "**جيوفري**" ينام في الطابق الأرضي تحته ، في حين كان صوت البكاء الذي يسمعه صادرا من أعلى .. جلس الجد في سريره وأشعل عودا من الثقاب، وانقطع البكاء في الحال .

لم يرو السيد "**وينبورن**" لابنته الحلم الذي رآه أو الصوت الذي سمعه في أعقاب الحلم ، فربما كان قد تخيل ذلك ، إلا أنه سمع صوت البكاء مرة ثانية في أثناء النهار .. كانت الرياح تصفع المدخنة ، ولكن ذلك كان صوتا منفصلا عن صوت بكاء مرير لطفل يتفطر قلبه من الأسى ..

اكتشف كذلك أنه ليس الشخص الوحيد الذي يسمع الصوت . فقد سمع الخادمة تقول للوصيفة ، لا أعتقد أن في قلب المربية ذرة من الحنان ، لأنني سمعت السيد "**جيوفري**" يبكي بكاء مرا هذا الصباح .

وكان الصبي قد وصل ليتناول الفطور في أحسن صحة وهو متهلل الأسارير، وكان السيد "**وينبورن**" يعلم أن البكاء لم يكن صادرا عن "**جيوفري**" ، وإنما عن ذلك الطفل الآخر الذي يجر ساقية جرا ، الذي فزع الجد لدى سماعه وقع أقدامه في المرة الأولى .

كانت السيدة "**لانكاستر**" وحدها التي لا تسمع شيئا ، وربما لم تكن أذناها مهيأتين لسماع الأصوات الصادرة عن العالم الآخر ، ورغم هذا فقد تلقت بدورها صدمة عندما جاءها "**جيوفري**" يقول :

– مامي .. أريد منك أن تسمحي لى باللعب مع الولد الصغير .

رفعت الأم رأسها باسمة وقالت له :

– أي ولد صغير يا حبيبي ؟

– لا أعرف اسمه . . كان في إحدى غرف السطح يبكي وهو جالس على الأرض ، ولكنه ولى هاربا عندما رآني . .

أعتقد أنه خجل مني (قال ذلك باحتقار) لا يتصرف الأطفال كبار ، ومرة ثانية بينما كنت في غرفتي مشغولا بلعبتي ، رأيته واقفا بالقرب من باب الحجرة يراقبني وأنا أقيم منزلا ، وكان يبدو عليه الشعور بالوحدة الموحشة كأنه يرغب في اللعب معي ، وقلت له : تعال واشترك معي في بناء آلة ولكنه لم يفعل شيئا ، واكتفى بالنظر إلي ، كأنه يرى كمية كبيرة من الشوكولاتة وقد طلبت منه أمه ألا يلمسها .

تنهد "**جيوف**" وهو يسترجع تلك الذكريات الأليمة ، ثم أردف يقول :

– ولكنني عندما سألت "**جين**" عمن يكون ذلك الطفل وأخبرتها بأنني أرغب في اللعب معه ، أخبرتني بأنه لا يوجد طفل صغير في البيت ، وطلبت مني ألا أردد هذه القصص السخيفة . . إنني لا أحب "**جين**" بالمرة .

نهضت السيدة "**لانكاستر**" وهي تقول :

– لقد كانت "**جين**" على حق . . لا يوجد طفل صغير في المنزل .

– ولكنني رأيته . . أوه يا مامي . . أرجو أن تسمحي لي باللعب معه ، فهو يبدو وحيدا تعسا ، إنني أريد أن أفعل شيئا لأبدد أحزانه .

أوشكت السيدة "**لانكاستر**" أن تقول شيئا ، ولكن أباها هز رأسه وقال للطفل برقة زائدة :

– "**جيوف**" . . ذلك الولد الصغير يعاني الوحدة ، وربما كان باستطاعتك أن تفعل شيئا لتخفف من آلامه ، ولكن يجب عليك أن تكتشف الوسيلة بنفسك كما تفعل بالنسبة للغز . . هل تفهم قصدي ؟

– هل السبب لأنني كبرت ولابد لي من أن أفعل كل شيء بنفسي ؟

– نعم .. لأنك كبرت .

عندما انصرف الطفل من الحجرة ، أدارت السيدة " **لانكاستر** " رأسها نحو أبيها وقالت بنفاد صبر :

– بابا .. هذا اقتراح سخيف .. أن تشجع الولد على الإيمان بصدق ما تقوله الخادمات من قصص سخيفة .

وأجابها العجوز برقة :

– لم تخبره الخادمات بشيء على الإطلاق ، لقد رأى بعينيه ما سمعته أذناي وكان باستطاعتي أن أراه لو أنني كنت في مثل عمره .

– ولكن هذا تخريف ! لماذا لا أسمع أنا أو أرى ؟

ابتسم السيد "**وينبورن**" ابتسامة ملل ولم يقل شيئا ، وعادت ابنته تسأله :

– لماذا ؟ ولماذا قلت له : إن باستطاعته أن يساعد ذلك .. الطفل .. الأمر كله يبدو مستحيلا .

نظر إليها الرجل العجوز مفكرا ثم قال :

– لماذا لا تستطيعين ؟ هل تذكرين كلمات القصيدة التي تقول :

أي مصباح في يد القدر يملكه

لكي يرشد الأطفال الصغار الذين يتعثرون في الظلام ؟ أجابت السماء قائلة : بالفهم الأعمى !

يملك "**جيوفري**" هذا الفهم الأعمى ، يمتلك كل الأطفال هذه الملكة ، وكلما كبرنا فقدنا هذه الخاصية .. ويحدث في بعض الأحيان عندما يتقدم بنا العمر أن يعود إلينا بصيص من هذه الملكة ، ولكن المصباح يزداد اشتعالا وهو في طفولته .. هذا هو السبب الذي يجعلني أتصور أن "**جيوفري**" قادر على المساعدة .

تمتمت السيدة "**لانكاستر**" قائلة بضعف :

– إنني لا أفهم .

– كذلك أنا أيضا . . ذلك الطفل يواجه المتاعب ويريد أن يتحرر منها ، ولكن كيف ؟ لا أدري ، ولكنه أمر عجيب أن يفكر الإنسان في الموضوع . . موضوع ذلك الطفل الذي يتمزق قلبه من شدة البكاء . .

أصيب "**جيوفري**" بمرض شديد بعد انقضاء شهر على ذلك الحوار ، وكانت الرياح الشرقية بالغة العنف ، ولم تكن بنية الطفل قوية ، وهز الطبيب رأسه في أسى عندما اكتشف خطورة الحالة ، وقد صارح السيد "**وينبورن**" في غياب الأم بأن الحالة ميؤوس منها تماما ، وقال له :

– لم يكن من المقدر لهذا الطفل أن يعيش حتى يكبر تحت ظل أي ظروف . . وأضاف إلى ذلك قوله :

– لقد كان يعاني مرضاً خطيرا في الرئة منذ وقت طويل .

بدأت السيدة "**لانكاستر**" تحس بوجود الطفل الآخر في أثناء قيامها بتمريض ابنها ، وكان من الصعب في البداية تمييز بكاء الطفل من صوت الريح ، ولكنه أخذ مع مرور الوقت يزداد وضوحا بشكل لا يمكن أن تخطئه الأذن ، وأخيرا بدأت تسمع البكاء في لحظات الصمت التام : نشيج طفل يتمزق قلبه من الأسى . .

ازدادت حالة "**جيوفري**" تدهورا ، وكان يتحدث في أثناء فترات سباته العميق عن : الولد الصغير ، ويكرر ذلك المرة بعد الأخرى ، ثم يصيح قائلا :

إنني أرغب في مساعدته . . أريد أن أساعده !! كانت تعقب فترات السبات العميق حالة من الصحوة حيث يلزم "**جيوفري**" السكون وأنفاسه تتردد بصعوبة، ولم يكن أمام الأم سوى أن تنتظر في صبر ، حتى جاءت ليلة

خيم فيها السكون والهدوء التام ، حتى أنه لم تهب نسمة واحدة من الهواء ، وتململ الطفل في رقدته وفتح عينيه ، وتجاوزت نظراته الأم إلى الباب المفتوح. وحاول أن يتكلم ، وانحنت الأم فوقه لتلتقط الكلمات الخافتة ، وكان الطفل يقول هامسا :

حسن .. إنني قادم .. ثم سكتت حركة الطفل ، وأصيبت الأم بفزع شديد، وعبرت الحجرة إلى الركن الذي يجلس فيه أبوها ، وسمعت صوت ضحكة تنم عن الفرح أطلقها الطفل الآخر .. ضحكة تعبر عن الارتياح والنصر ، وتردد صدى الضحكة في الحجرة .. وصاحت الأم قائلة بارتياع :

– إنني خائفة .. إنني خائفة .

لف الأب ذراعه حولها لحمايتها ، وهبت نسمة مفاجئة من الهواء بسرعة . ثم لف الصمت الحجرة مرة أخرى ..

انقطع الضحك ، ثم بدأ يتسلل صوت خافت لا يكاد يسمع لم يلبث أن ازداد وضوحا .. صوت أقدام تدب على الأرض ،، وهي تبتعد بسرعة عن المكان .

"**بيتر باتر**" .. "**بيتر باتر**" .. كان صوت وقع تلك الأقدام تجري ، ولكن – بدون أدنى شك – يتبعها في هذه المرة وقع أقدام أخرى تتحرك بصورة أسرع .

قفز العجوز وابنته متجهين نحو الباب .. وسمعا وقع الأقدام تهبط الدرج.. وقع أقدام الطفلين معا ..

نظرت السيدة "**لانكاستر**" إلى أبيها قائلة بحدة :

– إنها وقع أقدام طفلين !

اتجهت الأم والفزع في عينيها نحو سرير الطفل ، ولكن أباها منعها برفق .. واستمعا إلى الصوت .. "**بيتر باتر**" .. "**بيتر باتر**" .. وأخذ الصوت يزداد خفوتا ثم خيم الصمت مرة أخرى ..

المذياع

قال الدكتور "**ميندبل**" باللهجة التي تعود أن يتحدث بها كل الأطباء

– تجنبي أولا وقبل كل شيء القلق والتوتر العصبي ..

لم تطمئن السيدة "**هارتر**" لسماعها تلك العبارة بقدر ما ازدادت شكوكها، وأردف الطبيب يقول :

– يوجد بعض الضعف في القلب ، ولكنني أستطيع أن أؤكد لك أنه لا يوجد ثمة مبرر للقلق .. ولكنني أوصي في الوقت نفسه بتركيب مصعد .. ما رأيك في هذا ؟

ازداد قلق السيدة "**هارتر**" ، بينما تزايد سرور الطبيب الذي كان يفضل التعامل مع الأغنياء حتى يمارس هوايته في وصف أكثر أشكال العلاج غرابة.. وأردف الطبيب يقول :

– نعم.. مصعد حتى نتجنب أي لون من الإرهاق .. كما أوصي ببعض التمرينات الرياضية الخفيفة ، وتجنب صعود التلال ، وأهم من ذلك كله الترويح الذهني . لا ترهقي صحتك ..

كان الطبيب أكثر صراحة مع ابن أخيها – "**شارلز ريد جواي**" – عندما انفرد به حيث قال له :

– لا تسئ فهمي .. قد تعيش عمتك أعواما طويلة وهذا هو المرجح .. ولكنها أمام أية صدمة قد تنتهي في غمضة عين .. لهذا يجب أن تحيا حياة هادئة دون إرهاق أو تعب ، ويجب أن توفر لها جوا من المرح والتسلية .

همس "**شارلز ريد جواي**" لنفسه مفكرا : التسلية ..

كان "**شارلز**" شابا ذا عقلية مفكرة ، وكان يؤمن في الوقت نفسه بتنمية

مواهبه كلما استطاع ذلك ، واقترح "**شارلز**" في ذلك المساء على عمته تركيب مذياع في البيت ، ورغم أن مزاج السيدة "**هارتر**" كان منحرفا لفكرة المصعد ، فإن "**شارلز**" طاردها بإلحاحه وقدرته على الإقناع ، واعترضت عمته قائلة :

– إنني لا أكترث بهذه المخترعات الحديثة .. الموجات .. أنت تعرف الموجات الكهربية .. ربما أثرت في ..

أخذ "**شارلز**" يحبذ لها الفكرة ، إلا أنها ظلت على عدم اقتناعها ، وتمتمت تقول :

– الكهرباء .. تستطيع أن تقول ما تشاء يا "**شارلز**" .. إلا أن بعض الأشخاص يتأثرون بالكهرباء .. كان الصداع ينتابني دائما أمام العاصفة الرعدية .

لم ييأس "**شارلز**" ، وقال :

– عمتي العزيزة "**ماري**" دعيني أزيد لك الأمر إيضاحا .

كانت له خبرة في الموضوع الذي يتحدث عنه ، وألقى عليها محاضرة طويلة مروجا للفكرة ، متحدثا عن المفاتيح اللامعة والصمامات والذبذبات العالية ، والمنخفضة وتكبير الصوت والمكثف ، وأحست السيدة "**هارتر**" بأنها كادت تغرق في سيل من الكلمات التي لا تفهمها ، واضطرت في النهاية إلى الموافقة قائلة :

– بالتأكيد يا "**شارلز**" .. إذا كنت تعتقد .

– يا عمتي العزيزة "**ماري**" .. إنه الشيء المناسب لك تماما .. حتى يسليك وحتى لا تشعري بالملل .

تم تركيب المصعد الذي أوصى به الطبيب بعد فترة وجيزة ، رغم أن السيدة

"**هارتر**" كانت لا ترحب بدخول أي رجل غريب إلى المنزل خوفا على طقم أدوات المائدة الفضي القديم ..

وسرعان ما أضيف إلى البيت المذياع بمفاتيحه الكثيرة التي ظلت السيدة "**هارتر**" ترمقها بارتياب وتردد .

أدار "**شارلز**" مفتاح المذياع وعمته تنظر إلى الصندوق الضخم بعدم ارتياح، وقال الشاب :

- استمعي يا عمة "**ماري**" .. نحن الآن في "**برلين**" .. أليس هذا رائعا ؟ ألا تسمعين صوت الفتى ؟

- إنني لا أسمع سوى أزيز وخشخشة ..

استمر "**شارلز**" في إدارة المفاتيح ثم قال بحماس :

- "**بروكسل**" ..

صاحت السيدة "**هارتر**" قائلة :

- يبدو أننا انتقلنا إلى بيت الكلاب !

قال "**شارلز**" ضاحكا :

- هاها ! تستطيعين الآن أن تمزحي كما تشائين يا عمة "**ماري**" .. أليست هذه نتيجة طيبة ؟

لم تستطع السيدة "**هارتر**" سوى الابتسام ، فقد كانت مولعة بابن أخيها .. وقد عاشت معها قبل ذلك ببضع سنوات ابنة أخ تدعى "**ميريام هارتر**" ، وكان في نيتها أن توصي بكل ثروتها لها ، إلا أن "**ميريام**" فشلت في إرضائها ، فقد كانت عصبية غير راضية عن الحياة التي تعيشها عمتها ، وكانت تكثر من الخروج ثم تعرفت في النهاية إلى شاب ، ولم ترض العمة عن هذه العلاقة ، وأعادت السيدة "**هارتر**" ابنة أخيها إلى أمها مع رسالة كأنها

طرد من البضائع ، تزوجت "**ميريام**" الشاب الذي أحبته ، وأرسلت لها عمتها علبة مناديل ومنضدة صغيرة للشاي ، وعندما وجدت السيدة "**هارتر**" بنات الإخوة غير مناسبات ، اتجهت نحو أبناء الأخوة ، وأحرز "**شارلز**" نجاحا منقطع النظير منذ قدومه للحياة مع عمته ، فقد كان مرحا يصغي باهتمام إلى كل كلمة تقولها عمته – على خلاف "**ميريام**" التي كانت تمل الاستماع إلى أحاديث عمتها ، وكان "**شارلز**" يكرر في اليوم الواحد قوله : إن أحاديث عمته ممتعة لا يمل الإنسان سماعها ، وبذا استطاع أن يكسب عطف عمته .. كتبت السيدة "**هارتر**" إلى محاميها تعليمات لكي يغير الوصية ، وأرسل لها المحامي الوصية الجديدة فوقعت عليها راضية..

أثبت "**شارلز**" بالمذياع الذي أضافه للبيت أنه كسب أرضا جديدة ، فبعد الموقف الرافض للسيدة "**هارتر**" من الجهاز الجديد في البداية ، أصبحت مفتونة به ، وكانت تستمتع به خاصة عندما يكون "**شارلز**" في الخارج ، لأنه في أثناء وجوده لم يكن يترك مفاتيح الجهاز لحظة واحدة ، أما عندما تكون العمة "**ماري**" وحدها ، فإنها تجلس في هدوء لتستمع إلى سيمفونية أو محاضرة، وهي في قمة السعادة ..

وقع أول حادث بعد ثلاثة أشهر من وصول الجهاز .. كان "**شارلز**" خارج المنزل يلعب "**البريدج**" مع بعض أصدقائه ، بينما كانت السيدة "**هارتر**" تستمع إلى مغنية "**السوبرانو آني لوري**" .. توقف الصوت فجأة مع استمرار الأزيز، ثم لم يلبث الأزيز أن توقف بدوره وخيم الصمت التام ، وأعقب ذلك بعض الأزيز الذي لم تجد له السيدة "**هارتر**" تعليلا ، ثم طرق سمعها صوت واضح .. صوت رجل يتحدث بلكنة أيرلندية يقول :

– "**ماري**" – هل تسمعين صوتي يا "**ماري**" ؟ أنا "**باتريك**" .. سوف آتي

لزيارتك في القريب العاجل ، هل ستكونين مستعدة لاستقبالي يا "**ماري**" ؟

انقطع الصوت .. وفجأة عادت أغنية "**آني لوري**" تدوي في أرجاء الحجرة.. تسمرت السيدة "**ماري**" في مكانها .. هل كانت تحلم ؟ "**باتريك**" ! صوت "**باتريك**" ! "**باتريك**" يتحدث إليها ؟

لا شك أنها كانت تحلم .. ربما كانت تهلوس ، لا شك أنها غفلت مدة دقيقة أو دقيقتين ، ولكن ياله من حلم أن تستمع إلى صوت زوجها من العالم الآخر ، ارتعدت قليلا وهي تهمس لنفسها : ما الكلمات التي كان يقولها .. سوف آتي لزيارتك في القريب العاجل ، هل ستكونين مستعدة لاستقبالي يا"**ماري**" ؟

أهو تحذير سابق ؟ هل هو ضعف القلب بسبب تقدمها في العمر ؟ قالت السيدة "**هارتر**" محدثة نفسها وهي تغادر مقعدها : إنه تحذير .. لقد أضعت الكثير من المال في شراء المصعد .

لم تحدث أحدا بشأن التجربة التي مرت بها ، إلا أنها ظلت مبلبلة الخاطر اليومين التاليين .. ثم جاءت المناسبة الثانية .. كانت وحدها للمرة الثانية بينما تقدم الإذاعة معزوفة موسيقية .. توقفت الموسيقى ثم جاء صوت من بعيد .. صوت غريب كأنه صادر عن عالم آخر يقول :

– "**باتريك**" يتحدث إليك يا "**ماري**" .. سوف آتي لرؤيتك في القريب العاجل يا "**ماري**" ..

توقف الصوت وتلاه أزيز برهة قصيرة ، ثم عادت الموسيقى من جديد .

تطلعت السيدة "**هارتر**" إلى ساعة الحائط .. كلا .. إنها واثقة بأنها لم تكن نائمة في هذه المرة ، ولقد سمعت صوت "**باتريك**" بوضوح .. كانت واثقة من أنها ليست هلوسة ، وأجهدت ذهنها في تذكر ما قاله "**شارلز**" عن

نظرية الموجات الأثيرية .

هل يمكن أن يكون "**باتريك**" هو المتكلم حقا ؟ هل استغل قدرة الأجهزة العلمية الحديثة ليبلغها رسالته على أمواج الأثير ؟

استدعت السيدة "**هارتر**" خادمتها "**إليزابيث**" ، وهي سيدة ضخمة في الستين من عمرها ، تحمل في قلبها قدرا كبيرا من الحب لمخدومتها ، وقالت السيدة "**هارتر**" :

– "**إليزابيث**" .. هل تذكرين ما قلته لك من قبل ؟ الدرج العلوي في الجانب الأيسر من مكتبي .. إنه مغلق بالمفتاح وأنت تعرفين مكانه .. هل كل شيء معد؟

– معد لأي شيء يا سيدتي ؟

– لجنازتي .. أنت تفهمين جيدا ما أعنيه يا "**إليزابيث**" .. لقد ساعدتني بنفسك في وضع الأشياء .

عبست "**إليزابيث**" وقالت مولولة :

– أوه يا سيدتي .. اطردي هذه الأفكار .. إنني أراك في صحة أفضل .

قالت السيدة "**هارتر**" بطريقة عملية :

– كل واحد منا سوف يرحل ذات يوم .. لقد بلغت أرذل العمر يا"**إليزابيث**" .. كفي عن البكاء ، أو ابحثي لك عن مكان آخر تبكين فيه .

انسحبت "**إليزابيث**" وهي لا تكف عن البكاء ، وهمست السيدة "**هارتر**" لنفسها : عجوز حمقاء ولكنها مخلصة .. مخلصة للغاية .. أأوصيت لها بخمسين جنيها أم مائة ؟ يجب أن أترك لها مائة لأنها خدمتني فترة طويلة .

ظلت مشغولة البال بتلك المسألة ، وكتبت رسالة في اليوم التالي إلى المحامي تطلب منه أن يعيد إليها الوصية لتلقي عليها نظرة أخرى ، وفاجأها "**شارلز**"

في اليوم التالي في أثناء الغداء بقوله :

– بهذه المناسبة يا عمة "**ماري**" .. من ذلك العجوز المضحك الذي يوجد في الغرفة الإضافية ؟ أعني صورة العجوز ذي اللحية الكثة ؟

نظرت إليه العمة "**ماري**" بصرامة قائلة :

– هذا عمك "**باتريك**" أيها الشاب .

– أوه .. أعرب لك عن بالغ أسفي .. لم أكن لأعرف أن الصورة له ..

قبلت العمة الاعتذار في تأفف ، وقال "**شارلز**" في تردد :

– أ.. إنني لأعجب .. في الواقع ..

توقف عن الكلام وصاحت السيدة "**هارتر**" قائلة بانفعال :

– حسن ؟ ماذا كنت تريد أن تقول ؟

– لا شيء .. ربما لم يكن الأمر يستحق الحديث .

– يجب أن تخبرني يا "**شارلز**" عن السبب الذي دفعك إلى الحديث عن صورة عمك ؟

بدا الارتباك على "**شارلز**" ، وقال :

– لقد أخبرتك يا عمتي .. إنها مجرد خيالات .. خيالات سخيفة .

قالت العمة بإصرار :

– "**شارلز**" .. إنني أصر على سماع رد على سؤالي .

– سوف أخبرك مادمت تصرين .. خيل إلي أنني رأيته ..

الرجل الذي في الصورة .. كان يتطلع من النافذة لحظة وصولي في الليلة الماضية .. ربما كان ذلك انعكاس الضوء .. تساءلت من يكون هذا الرجل ؟ كان يبدو لي شخصا ينتمي إلى العصور الماضية وعندما استفسرت من "**إليزابيث**" أخبرتني بأنه لا يوجد ضيوف أو غرباء في البيت ، وتصادف أن

ذهبت في ساعة متأخرة من الليل إلى الغرفة المهجورة ورأيت الصورة المعلقة على الحائط ، وفوجئت بأنها صورة الرجل الذي رأيته ! أعتقد أن تفسير ذلك سهل .. إنه العقل اللاواعي .. لا شك في أنني لمحت الصورة من قبل بدون أن أدرك ذلك ، ثم تخيلت بعد ذلك الوجه الذي رأيته في النافذة .

قالت السيدة "**هارتر**" بحدة :

– النافذة التي تقع في طرف البيت ؟

– نعم .. لماذا ؟

قالت السيدة "**هارتر**" بشرود :

– لا شيء ..

لكنها لم تستطع أن تخفي قلقها ، فقد كانت تلك الغرفة غرفة ملابس زوجها..

كان "**شارلز**" متغيبا عن المنزل في تلك الليلة أيضا ، بينما تجلس السيدة "**هارتر**" تصغي إلى الراديو ، وعندما انقطع الإرسال لتستمع إلى ذلك الصوت الغريب القادم من العالم الآخر يقول :

– "**ماري**" .. أنت مستعدة الآن لاستقبالي .. سوف آتي يوم الجمعة .. الجمعة في التاسعة والنصف .. لا تخافي فلن تشعري بأدنى ألم .. كوني مستعدة .

عادت الموسيقي بعد انتهاء الصوت مباشرة ، وظلت السيدة "**هارتر**" جالسة في مكانها ساكنة بعض الوقت وقد امتقع وجهها وأحست بجفاف في حلقها.. ثم توجهت في هدوء إلى مكتبها لتكتب السطور التالية :

الليلة في تمام الساعة التاسعة والربع .. سمعت صوت زوجي الراحل بوضوح أخبرني بأنه سيأتي في منتصف العاشرة من مساء الجمعة القادم..

وإذا تصادف أنني مت في ذلك اليوم وتلك الساعة ، فإنني أحب أن تذاع هذه الحقائق لإثبات إمكان اتصال الأرواح من العالم الآخر ..

"ماري هارتر "

أعادت السيدة "**هارتر**" قراءة ماكتبته ، ووضعت الرسالة في ظرف كتبت عليه عنوانا معينا ، ثم دقت الجرس لتستدعي "**إليزابيث**" ، وعندما جاءت الخادمة مسرعة ، سلمتها مخدومتها الرسالة قائلة :

– "**إليزابيث**" .. إذا كان مقدرا لي أن أموت مساء الجمعة القادم فارجو أن تسلمي هذه الرسالة للدكتور "**مينيل**" ..

حاولت الخادمة الاعتراض ، ولكن مخدومتها استرسلت قائلة :

– لا تجادليني . سبق أن قلت بنفسك إنك تؤمنين برسائل التحذير .. لقد تلقيت الآن رسالة تحذير .. وهناك أمر آخر .. تركت لك في وصيتي خمسين جنيها ، وأحب أن أزيد المبلغ إلى مائة ، وإذا لم أتمكن من الذهاب بنفسي إلى البنك قبل موتي ، فعلى السيد "**شارلز**" أن يتولى هذه المهمة .

كما حدث من قبل ، طلبت السيدة "**هارتر**" من خادمتها أن تكف عن البكاء ، وتنفيذا لخطتها ، فاتحت "**شارلز**" في الموضوع صباح اليوم التالي قائلة :

– تذكر جيدا يا "**شارلز**" .. إذا حدث لي أي شيء ، يجب أن تحصل "**إليزابيث**" على خمسين جنيها أخرى .

وقال لها "**شارلز**" بابتهاج :

– أراك مكتئبة في الأيام الأخيرة يا عمة "**ماري**" .. ما الذي سوف يحدث لك ؟ وفقا لما يقرره الدكتور "**مينيل**" سوف تعيشين عشرين عاما أخرى حتى

تحتفلي ببلوغك مائة عام ..

ابتسمت السيدة "**هارتر**" ولم تقل شيئا ، وانتظرت دقيقة قبل أن تقول :

– ماذا سوف تفعل مساء الجمعة يا "**شارلز**" ؟

بدت الدهشة على وجه "**شارلز**" وهو يقول :

– دعاني "**أيونجز**" إلى لعب "**البريدج**" ، ولكن إذا شئت بقيت معك ..

قاطعته العمة قائلة بإصرار :

– كلا .. كلا بالتأكيد يا "**شارلز**" .. إنني أحب أن أكون وحدي في تلك الليلة .

رمقها "**شارلز**" بدهشة ، ولكن السيدة "**هارتر**" لم تقدم له تفسيرا مقبولا ، فقد كانت سيدة عجوزا صلبة الرأي ، فقد كانت تريد أن تجتاز التجربة وحدها ..

كان البيت غارقا في السكون التام مساء الجمعة ، جلست السيدة "**هارتر**" كعادتها أمام المدفأة وقد أعدت الترتيبات اللازمة لمواجهة الموقف ، وذهبت إلى البنك في الصباح وسحبت خمسين جنيها سلمتها إلى "**إليزابيث**" متجاهلة اعتراضها ودموعها .. وجمعت كل متعلقاتها ووضعت بطاقات على بعض قطع الجواهر بأسماء الأقارب والأصدقاء الذين أوصت لهم بها ، كما كتبت قائمة بتعليماتها لـ "**شارلز**" ..

ألقت نظرة أخيرة على الظرف الطويل الذي تمسكه في يدها .. كانت تلك الوصية التي سترسلها إلى السيد "**هوبكنسون**" مصحوبة بتعليماتها .. ورغم أنها قرأتها قبل ذلك مرارا ، إلا أنها أعادت قراءتها لتنعش ذاكرتها .. تركت خمسين جنيها لـ "**إليزابيث مارشال**" تقديرا لتفانيها في الخدمة ، وأوصت بخمسمائة جنيه لكل من شقيقتها وابن عم لها ، وببقية ثروتها لابن

أخيها العزيز "**شارلز ريد جواي**" .

هزت السيدة "**هارتر**" رأسها في رضا .. سوف يصبح "**شارلز**" رجلا ثريا بعد موتها ، فقد كان ولدا بارا بها ، شديد العطف عليها ، يعمل كل ما في وسعه لإرضائها .

تطلعت إلى ساعة الحائط .. بقيت ثلاث دقائق قبل أن تعلن الساعة منتصف العاشرة .. حسن إنها مستعدة الآن .. وهي هادئة الأعصاب تماما .. ورغم أنها كانت تكرر على نفسها تلك الكلمات مرات عديدة ، إلا أن دقات قلبها كانت تزداد عنفا ، وأعصابها تزداد توترا مع مرات كل ثانية .

التاسعة والنصف .. المذياع مفتوح .. ماذا تحب أن تسمع ؟ النشرة الجوية أم صوت الرجل الذي رحل عن هذا العالم منذ ربع قرن ؟

لكنها لم تسمع هذا أو ذاك .. وسمعت بدلا من ذلك صوتا مألوفا .. صوتا تعرفه جيدا ولكنه يبعث الليلة في جسمها إحساسا بالبرودة ، كأن يدا مثلجة توضع فوق قلبها ، وسمعت صوت إنسان يدلف من الباب الأمامي للمنزل ..

تكرر الصوت مرة ثانية ، وأحست بنسمة من الهواء البارد تعصف بالحجرة .. لم يداخلها أي شك في طبيعة الأحاسيس التي تشعر بها في تلك اللحظة .. تسرب الخوف إلى قلبها . إنها أكثر من خائفة ... إنها مذعورة .. تطرقت إلى ذهنها فجأة فكرة غريبة : خمسة وعشرون عاما تعتبر زمنا طويلا .. لقد أصبح "**باتريك**" غريبا عني الآن .. الفزع ! كان ذلك هو الإحساس الذي يتملكها ..

وقع خطوات خارج الباب .. صوت الخطوات يتوقف .. ثم بدأ الباب يفتح في هدوء .. هبت السيدة "**هارتر**" واقفة وهي تترنح من جانب إلى جانب

وعيناها مركزتان في فتحة الباب .. وسقط شيء من يدها في فتحة المدفأة..

حاولت أن تصرخ ولكن الصرخة ماتت على شفتيها .. كان يقف في فتحة الباب شكل مألوف بلحيته الكثة وحلته العتيقة ..

لقد جاء إليها "**باتريك**" !

دق قلبها دقة واحدة عنيفة ثم توقف عن الحركة ، وسقطت على الأرض ..

عثرت عليها "**إليزابيث**" بعد ساعة ، واستدعت على عجل الدكتور "**مينيل**" و"**شارلز ريد جواي**" الذي كان يلعب "**البريدج**" مع أصدقائه ، إلا أن الوقت كان قد فات لتقديم أي معاونة للعمة العجوز ..

انقضى يومان على وفاة السيدة "**هارتر**" قبل أن تتذكر "**إليزابيث**" الرسالة التي سلمتها إليها مخدومتها ، وقرأ الدكتور "**مينيل**" الرسالة باهتمام بالغ ، وأطلع "**شارلز**" على الرسالة قائلا :

– مصادفة بالغة الغرابة .. يبدو أن عمتك كانت تهلوس وتتخيل أنها تسمع صوت زوجها الراحل ، ولا بد أن أعصابها بلغت حدا كبيرا من التوتر. حتى إذا حل الموعد الذي تخيلته كانت الصدمة شديدة وسببت لها الوفاة .

قال "**شارلز**" :

– الإيحاء الذاتي ؟

– شيء من هذا القبيل ، سوف أخبرك بنتيجة التشريح في أسرع وقت ممكن رغم أن الشك لا يساورني ، ومن الأفضل تشريح الجثة في مثل هذه الظروف رغم أنه مجرد إجراء شكلي هز "**شارلز**" رأسه مؤمنا ..

انتهز "**شارلز**" فرصة نوم الخدم في الليلة السابقة ورفع سلكا معينا كان يصل بين المذياع وبين غرفته التي تقع في الطابق العلوي ، وحيث إن الليلة كانت شديدة البرد فقد طلب من "**إليزابيث**" أن تشعل نار المدفأة في

حجرته، وحرق في تلك النار اللحية الكثة والسوالف الكبيرة ، وأعاد إلى الصندوق الكبير الموضوع في حجرة السطح الملابس التي كانت لعمه الراحل .

كان على ثقة من أنه بعيد عن الشبهات تماما .. لقد نبتت الخطة في ذهنه عندما سمع الدكتور "**مينيل**" يخبره بأن عمته قد تعيش سنوات ، ولكن صدمة مفاجئة يمكن أن تقضي عليها في غمضة عين .

عندما انصرف الطبيب ، مضى "**شارلز**" يؤدي واجباته بطريقة آلية ، وكان عليه أن يعد الترتيبات اللازمة للجنازة واستدعاء الأقارب الذين يقيمون في مناطق بعيدة ، ولابد من تدبير أماكن إقامتهم بعد تشييع الجنازة ، تولى "**شارلز**" كل هذه الأمور ببراعة ودقة ..

همس "**شارلز**" لنفسه : يا لها من ضربة موفقة ! لم يكن أحد ليدري – حتى عمته – أي موقف مالي خطير يواجه "**شارلز**" . فقد كان معرضا للسجن والخراب ما لم يستطع خلال أشهر قليلة أن يدبر قدرا كبيرا من المال ، وقد تم له الآن ما كان يسعى إليه ، ولم يكن التدبير الذي أعده عملا إجراميا، كانت مجرد مزحة، وقد أنقذته من الخراب ، لقد أصبح رجلا ثريا .. لم يكن يساوره القلق لأن عمته لم تكن لتخفي نواياها وقد صارحته بأنه الوريث الوحيد لمعظم ثروتها .

بينما كان "**شارلز**" يسعد بهذه الخواطر ، جاءت "**إليزابيث**" لتخبره أن السيد "**هوبكنسون**" يرغب في مقابلته . رسم "**شارلز**" على وجهه مظاهر الحزن ، وذهب إلى المكتبة ليحيي الرجل العجوز الذي كان المستشار القانوني للسيدة "**هارتر**" خلال ربع القرن الأخير .. جلس المحامي بناء على إشارة "**شارلز**" ، وبعد أن تنحنح قال :

– إنني لم أفهم تماما ما يعنيه خطابك لي يا سيد "**ريد جواي**" .. يبدو أنك

تتصور أن وصية السيدة "**هارتو**" في حوزتي .. حملق "**شارلز**" في وجهه مدهوشا وهو يقول :

– ولكنني سمعت عمتي تردد ذلك أكثر من مرة .

– أوه .. تماما .. تماما .. كنت أحتفظ بالوصية ..

– كنت ؟

– هذا هو ما قلته ... غير أن السيدة "**هارتو**" طلبت مني يوم الثلاثاء الماضي أن أرسل إليها الوصية .

تسرب القلق إلى قلب "**شارلز**" ، بينما أردف المحامي يقول :

– سوف تظهر الوصية بين أوراق الراحلة ..

لم يقل "**شارلز**" شيئا ، كان يخشى أن يخونه لسانه ، فقد قام بفحص جميع الأوراق التي تركتها عمته دون أن يعثر على أي وصية بينها ، وعندما استعاد هدوء أعصابه قال : إنه بحث جميع أوراق عمته ، وقال المحامي :

– هل عبث أي إنسان بمقتنياتها الشخصية ؟

أجاب "**شارلز**" بأن "**إليزابيث**" هي التي فعلت ذلك ؟ ، وعندئذ أرسل المحامي في طلب الخادمة التي جاءت على الفور لتجيب عن الأسئلة الموجهة إليها ، واعترفت بأنها فحصت كل ملابس سيدتها ومقتنياتها الشخصية ، ولكنها واثقة بأنها لم تعثر على أي مستندات قانونية ، وأنها تعرف جيدا شكل الوصية ، لأن سيدتها كانت تمسكها بين يديها في صباح اليوم الذي توفيت فيه ، وقال المحامي بحدة :

– هل أنت واثقة بذلك ؟

– نعم يا سيدي . هكذا أخبرتني سيدتي ، وأعطتني خمسين جنيها .. كانت الوصية داخل ظرف أزرق طويل .

قال السيد "**هوبكنسون**" :

– هذا صحيح .

وقالت "**إليزابيث**" :

– إنني أتذكر الآن .. لقد عثرت على ذلك الظرف صباح اليوم التالي فارغا، وقد وضعته فوق المكتب .

وأضاف "**شارلز**" معقبا :

– أذكر أنني رأيته هناك :

وقف "**شارلز**" واتجه نحو المكتب ، وعاد بعد قليل يحمل الظرف الأزرق وسلمه إلى السيد "**هوبكنسون**" .. فحص المحامي الظرف ثم هز رأسه قائلا :

– هذا هو الظرف الذي وضعت فيه الوصية يوم الثلاثاء الماضي .

تطلع كل من الرجلين إلى "**إليزابيث**" التي قالت بأدب :

– هل تطلب مني شيئا آخر يا سيدي ؟

– لا ليس في الوقت الحاضر .. شكرا لك ..

اتجهت الخادمة نحو الباب ، ولكن المحامي استوقفها بقوله :

– لحظة واحدة .. هل كانت نيران المدفأة مشتعلة في تلك الليلة ؟

– نعم يا سيدي .. نار المدفأة مشتعلة دائما .

– شكرا لك .. يكفيني هذا .

انصرفت الخادمة ، وقال "**شارلز**" للمحامي :

– ما رأيك الآن ؟

هز المحامي رأسه قائلا :

– سوف نتعلق بأمل ظهور الوصية ، وفي حالة عدم ظهورها .

– حسن .. ماذا يحدث إذا لم تظهر الوصية ؟

– أخشى أن أخبرك بأنه لا يوجد سوى استنتاج واحد محتمل .. طلبت عمتك الوصية لتعدمها ، وخوفا من أن تخسر "**إليزابيث**" نصيبها ، فقد أعطتها نصيبها نقدا ..

صاح "**شارلز**" قائلا بوحشية :

– ولكن لماذا ؟ لماذا ؟

– ألم يحدث خلاف بينك وبين عمتك يا سيد "**ريد جواي**" ؟

شهق "**شارلز**" وهو يقول :

– كلا لم يحدث لقد كنا على وفاق تام .. منذ البداية وحتى آخر لحظة .

قال السيد "**هوبكنسون**" دون أن ينظر إليه :

– آه !

خيل لـ"**شارلز**" أن المحامي لا يصدقه ، من يدري فلعل ذلك العجوز قد سمع بعض الإشاعات عن المتاعب المالية التي يواجهها ، ومن يدري فلعل هذه الإشاعات بلغت مسامع عمته ، وأنها فكرت في تغيير الوصية . ولكن "**شارلز**" واثق من أن شيئا من ذلك لم يحدث . فقد صدق الجميع أكاذيبه .. يا لسخرية القدر !

لم تحرق عمته الوصية بالتأكيد .. هذا ما تطرق إلى باله .. وتوقفت أفكاره فجأة .. ما تلك الصورة التي ترتسم أمام عينيه ؟ سيدة عجوز تضغط بإحدى يديها على قلبها .. ثم ينزلق شيء من يدها .. ورقة .. تسقط الورقة فوق اللهيب المشتعل في المدفاة .

شحب وجه "**شارلز**" .. وسمع صوتا تشوبه بحة – صوته – يسأل :

– إذا لم يتم العثور على تلك الوصية ؟

– هنالك الوصية السابقة للسيدة "**هارتر**" بأيلول (سبتمبر) 1920 .. تترك العمة بموجب هذه الوصية كل ثروتها لـ"**ميريام هارتر**" ، التي تعرف باسم "**ميريام روبنسون**" .

همس "**شارلز**" لنفسه : ماذا يقول هذا المحامي العجوز الخرف ؟ "**ميريام هارتر**" ، التي تعرف الآن باسم "**ميريام روبنسون**" يذهب كل ما خطط له ذكاؤه إلى "**ميريام**" !

دوى في تلك اللحظة رنين جرس الهاتف ، فرفع "**شارلز**" السماعة فطالعه صوت الدكتور "**مينيل**" الذي قال له برقة ..

– أهذا أنت يا "**ريد جواي**" ؟ ظننت أنك تريد أن تعرف نتيجة التشريح الذي انتهى منذ لحظات .. سبب الوفاة هو ما خمنته ، إلا أن التشريح أثبت أن مرض القلب كان أخطر مما نتصور ، ولم يكن مقدرا لها أن تعيش أكثر من شهرين .. ربما كانت هذه الأخبار تعزيك بعض الشيء ..

قال "**شارلز**" :

– هل تسمح أن تكرر ما قلته مرة أخرى ؟

قال الطبيب بصوت أكثر ارتفاعا :

– لم يكن مقدرا لها أن تعيش أكثر من شهرين ..

أعاد "**شارلز**" السماعة إلى مكانها بعنف ، وخيل إليه أنه يسمع صوت المحامي يأتي من مكان بعيد :

– يا عزيزي السيد "**ريد جواي**" .. هل أنت مريض ؟

فليذهب الجميع إلى الجحيم .. المحامي العجوز بوجهه الكريه !

وذلك الطبيب المخلص "**مينيل**" ! لم يعد أمامه بصيص من الأمل ، وشبح السجن يلوح له من بعيد .

أحس بأن شخصا يتلاعب به كما يلعب القط بالفأر وأن شخصا لابد أن يضحك ساخرا منه . .

حكاية السيد "**آرثر كارمايكل** " الغريبة
(مستقاة من مذكرات الراحل دكتور "**إدوارد كارستيرز**" عالم الطبيعة المشهور)

إنني على وعي كامل بأنه توجد طريقتان مختلفتان للنظر إلى الأحداث الغريبة والمحزنة التي سوف أرويها ، ولكن رأيي الشخصي لا يتزعزع ، وقد اقتنعت بضرورة كتابة القصة كاملة ، وأنا أعزو الأحداث الغريبة التي يصعب تفسيرها إلى العلم الذي يحتم عرضها للدراسة .

تبدأ القصة ببرقية تلقيتها من صديقي دكتور "**ستيل**" ، وفيما عدا اسم "**كارمايكل**" لم تكن البرقية واضحة ، ونزولا على رغبة صديقي ركبت قطار الساعة 12.20 من "**بادنجتون**" إلى "**وولدن**" في "**هيرفوردشاير**" .

لم يكن اسم "**كارمايكل**" غريبا عني ، فقد كانت تربطني معرفة ضئيلة بالسيد "**ويليام كارمايكل**" الراحل ، رغم أنني لم أقابله خلال الأحد عشر عاما الماضية ، وكنت أعرف أن له ابنا هو البارون الحالي ، المفروض أنه يبلغ الآن من العمر حوالي 23 عاما ، وأذكر أنني سمعت بعض الإشاعات التي تقول : إن السيد "**ويليام**" تزوج للمرة الثانية ، ولكنني لم أكن لأذكر شيئا محددا سوى شعور غامض نحو الزوجة الثانية .

قابلني "**ستيل**" في المحطة ، ورحب بي قائلا :

ــ كان لطفا منك أن تحضر .

– إنني مصر على معرفة كافة الحقائق .

– إنه أمر لا يخص "**آرثر**" .. إنه يتعلق بـ ..البيت . وكررت في دهشة :

– البيت ؟

– لك تجارب عديدة في هذا الشأن يا "**كارستيرز**" .. أعني البيوت المسكونة بالأشباح .. ما رأيك في هذا الموضوع ؟

– في تسع حالات من كل عشر يكون الأمر دجلا ..

ولكن الحالة العاشرة .. حسن .. إنها تدخل في الظواهر التي يصعب تفسيرها من وجهة النظر المادية .. ومع هذا فأنا ممن يؤمنون بالسحر .

هز "**ستيل**" رأسه مؤمنا ، وكنا قد اقتربنا من أبواب حديقة القصر عندما أشار لي صديقي بسوطه نحو قصر أبيض صغير يقع على جانب التل ، وقال :

– هذا هو المكان .. ويوجد شيء غامض في ذلك القصر شيء فظيع .. كلنا نحس به .. ولكنني لست ممن يؤمنون بالخرافات .

– أي شكل يتخذه ذلك الغموض ؟

– أفضل أن تكتشف ذلك بنفسك حتى لا تكون متحيزا لرأيي .

– هذا أفضل ، ولكنني أكون أكثر سعادة لو أنك زودتني بمعلومات أوفر عن العائلة .

– تزوج السيد "**ويليام**" مرتين ، و"**آرثر**" هو ابنه من الزوجة الأولى .. وتزوج مرة ثانية منذ تسع سنوات السيدة "**كارمايكل**" ..؟

نقلنا الحقائب إلى عربة يجرها الحصان ، وأخذنا طريقنا نحو "**وولدن**" التي تقع على مسافة حوالي خمسة كيلو مترات من المحطة ثم انفجر "**ستيل**" قائلا :

– لا يوجد تفسير معقول .. فهذا شاب في الثالثة والعشرين من عمره ..

لا أستطيع أن أقول : إنه يتميز بذكاء خارق ولكنه كشاب ينتمي إلى الطبقة العليا الإنجليزية يعتبر متميزا وفي صحة جيدة .. والغريب في الأمر أنه ذهب ذات ليلة إلى فراشه ثم استيقظ صباح اليوم التالي شبه مجنون يتجول في القرية غير قادر على معرفة أقرب وأحب الناس إليه .

وقلت في دهشة :

– آه ! حالة فقدان كلي للذاكرة ؟ ومتى حدث ذلك ؟

– صباح الأمس .. التاسع من آب (أغسطس) .

– ألم تكن هناك صدمة عصبية أو شيء من هذا القبيل ؟

– كلا لم يحدث شيء من هذا ..

– هل أفهم أن الموضوع يدخل في دائرة اختصاصي ؟

– إلى حد كبير .

– إذن فهي قضية اختلال عقلي ؟

داخلني شك مفاجئ ، وقلت له :

– هل تخفي عني بعض الحقائق ؟

– لا .. لا ..

أكد لي تردده صدق شكوكي وقلت له :

– أريد أن أعرف من هي تلك السيدة ؟

تردد "**ستيل**" قليلا ثم استرسل يقول .

– أنا شخصيا أشعر بالنفور من تلك السيدة ، وأحس بأن وراءها سرا غامضا .. حسن . نعود إلى قصتنا .. أنجب السيد "**ويليام**" من زوجته الثانية ولدا آخر يبلغ الآن الثامنة من عمره .. مات السيد "**ويليام**" منذ ثلاث سنوات ، وورث "**آرثر**" اللقب والمكان ، واستمرت زوجة أبيه وابنها في الحياة

معه .. أحب أن أقول لك أن الضيعة في حالة يرثى لها ، وأن دخل السيد "**آرثر**" يكاد لا يكفي لتغطية النفقات . وقد ترك السيد "**آرثر ويليام**" لزوجته دخلا سنويا لا يتعدى بضع مئات من الجنيهات ، ولكن "**آرثر**" لحسن الحظ كان على علاقة طيبة بزوجة أبيه ورحب بمعيشتها معه ..

– نعم ؟

– خطب "**آرثر**" منذ شهرين فتاة جميلة .. الآنسة "**فيليس باترسون**" ، وكان المفروض أن يتم الزواج في الشهر المقبل .. والفتاة تقيم الآن في القصر ، ولك أن تتصور مدى حزنها .

أحنيت رأسي في صمت ، كنا نقترب من القصر ، وكانت المروج الخضراء على يميننا تتحدر برفق ، وطالعتنا فجأة صورة فاتنة . شابة تعبر المروج في طريقها إلى القصر .. كانت عارية الرأس ، وتنعكس أشعة الشمس على شعرها الذهبي لتزيده توهجا ، كانت تحمل سلة مملوءة بالورد وتتمسح في ساقيها قطة سيامية رمادية اللون ..

التفت نحو "**ستيل**" مستفسرا ، وقال :

– هذه هي الآنسة "**باترسون**" .

– يا للمسكينة .. يا لها من صورة رائعة ترسمها مع وردها وقطتها الرمادية..

سمعت شهقة صديقي ، والتفت نحوه بسرعة فرأيت العنان قد أفلت من بين أصابعه ، وكان وجهه ممتقعا ، وسألته :

– ماذا بك ؟

تمالك "**ستيل**" هدوء أعصابه وقال :

– لا شيء .. لا شيء .

بلغنا القصر بعد لحظات ، وتبعت صديقي إلى غرفة الجلوس حيث كان يعد الشاي على المنضدة ، واستقبلتني السيدة "**كارمايكل**" مرحبة ، وقال "**ستيل**" :

– السيدة "**كارمايكل**" .. صديقي الدكتور "**كارستيرز**" .

لا أستطيع أن أفسر سر "**نفوري**" من الأرملة الجميلة التي استقبلتني بترحيب شديد ، وتذكرت إشارة "**ستيل**" إلى الدم الشرقي الذي يجري في عروقها ، وقالت السيدة بصوت ناعم :

– كان لطيفا منك أن تفكر في الحضور يا دكتور "**كارستيرز**" .. وأن تحاول مساعدتنا في محنتنا العظيمة .

تناولت قدح الشاي الذي قدمته لي في صمت ، ورأيت بعد دقائق الفتاة الحسناء التي شاهدناها في المروج خارج القصر ، كانت لاتزال تحمل سلة الورد، غير أن القطة لم تكن تصاحبها ، وقام "**ستيل**" بواجبات التعارف ، وقالت الشابة الحسناء :

– الدكتور "**كارستيرز**" .. قال الدكتور "**ستيل**" الشيء الكثير عنك .. لدي إحساس بأنك سوف تتمكن من مساعدة "**آرثر**" المسكين .

كانت الآنسة "**باترسون**" شابة رائعة الجمال رغم شحوب خديها ، والدوائر السوداء التي تحيط بعينيها ، وقلت لها مطمئنا:

– أرجو ألا تستسلمي لليأس يا عزيزتي ، فحالات فقدان الذاكرة أو ازدواج الشخصية لا تستمر طويلا ، وقد يسترد المريض صحته بين دقيقة وأخرى .

هزت الفتاة رأسها وهي تقول :

– لا أصدق أن هذه حالة ازدواج للشخصية .. ليس هذا هو "**آرثر**" بالمرة.. ليست هذه شخصيته .. ليست شخصيته بالمرة .

تدخلت السيدة "**كارمايكل**" في الحديث قائلة :

– يا عزيزتي "**فيليس**" .. تناولي قدح الشاي ..

أدركت من نظرة السيدة "**كارمايكل**" للفتاة أنها لا تميل إليها ، ورفضت الآنسة "**باترسون**" قبول قدح الشاي ، وقلت :

– ألا تقدمين طبقا من اللبن لقطتك ؟

رمقتني الفتاة بدهشة وهي تقول :

– القطة ؟!

– القطة التي كانت ترافقك منذ لحظات في الحديقة .

فوجئت بارتطام شيء بالأرض ، واكتشفت أن السيدة "**كارمايكل**" أسقطت براد الشاي ، وانسكب الماء الساخن فوق الأرض ، عالجت الأمر بسرعة ، والتفتت "**فيليس**" نحو "**ستيل**" بعيون متسائلة ووقف "**ستيل**" قائلا لي :

– ألا تحب أن تلقي الآن نظرة على مريضك ؟

تبعته في الحال ، ورافقتنا الآنسة "**باترسون**" ، صعدنا الدرج ، بينما أخرج "**ستيل**" مفتاحا من جيبه قائلا :

– تنتابه الرغبة في بعض الأحيان في التجول ، لهذا أغلق الباب عندما أكون خارج البيت .

فتح لنا الباب ودخلنا ، وكان الشاب يجلس على مقعد بجوار النافذة ، حيث كانت أشعة الشمس الغاربة تتسلل ، كان الشاب يجلس في منتهى الهدوء وقد استرخت كل عضلات جسمه ، وخيل إلي في البداية أنه غير منتبه لوجودنا ، حتى فطنت إلى أنه يراقبنا خلسة ، وخفض بصره عندما التقت عيناه بعيني ، ورمش بعينه ولكنه لم يتحرك ، وقال له "**ستيل**" بمرح

– انتبه يا "**آرثر**" .. لقد جاءت الآنسة "**باترسون**" وأحد أصدقائي لزيارتك .

لم يتململ الشاب في جلسته ، رغم أنني لاحظت بعد قليل أنه يخالسنا النظرات ، وقال له "**ستيل**" :

– هل تريد قدحا من الشاي ؟

وضع "**ستيل**" على المنضدة كوبا من اللبن ، ورمقت صديقي بدهشة ، وابتسم "**ستيل**" ثم قال :

– شيء غريب . اللبن هو الشراب الوحيد الذي يلمسه .

بعد قليل ، ودون تعجل ، نهض السيد "**آرثر**" بتثاقل وسار نحو المنضدة ببطء ، ولاحظت فجأة أن حركاته تتم بدون حدوث صوت ، وعندما بلغ المنضدة مدد جسمه ووضع إحدى ساقيه أمامه والأخرى خلف جسمه ثم تثاءب . لم أر في حياتي إنسانا يتثاءب بتلك الطريقة ، ثم ركز انتباهه في اللبن ، وأحنى رأسه حتى لمست شفتاه السائل ..

أجاب "**ستيل**" على نظرتي بقوله :

– لا يستخدم يديه على الإطلاق .. يبدو أنه ارتد إلى طبيعة الإنسان البدائي أليس هذا غريبا ؟

أحسست "بـ **فيليس باترسون**" تنكمش وهي تلتصق بي ، فوضعت يدي على ذراعها لأهدئها .. انتهى الشاب من لعق اللبن ، ثم فرد "**آرثر كارمايكل**" جسده مرة أخرى ، ثم عاد بالخطى البطيئة نفسها بدون إحداث صوت إلى مقعده بجوار النافذة ثم كور جسمه وهو ينظر إلينا في صمت ، قادتنا الآنسة "**باترسون**" إلى الخارج وكل جسدها يرتعد ، وقالت بأسى :

– بربك يا دكتور "**كارستيرز**" .. ليس هذا "**آرثر**" .. ذلك الشيء المكور ليس "**آرثر**" ..

هززت رأسي بحزن قائلا لها :

– يستطيع العقل البشري أن يلعب حيلا غريبة يا آنسة "**باترسون**" .

أعترف بأنني شعرت بالحيرة إزاء هذه الحالة الغريبة ، ورغم أنه لم يسبق لي أن رأيت "**آرثر**" قبل أن تنتابه هذه الحالة الغريبة في طريقة المشي والطرف بعينه إلا أنه ذكرني بإنسان أو بشيء لا أستطيع أن أحدده .

ساد الهدوء في أثناء تناول العشاء ، وعندما انسحبت السيدات سألني "**ستيل**" عن رأيي في مضيفتي ، فأجبته قائلا :

– يجب أن أعترف لك بأني أشعر نحوها بنفور لا أستطيع أن أعلله ..

– أنت محق من حيث إنها من أصل شرقي ويجب أن أعترف أيضا أنها تملك قوة سحرية غامضة .إنها امرأة ذات قوى مغناطيسية طاغية .

أوشك "**ستيل**" أن يقول شيئا ولكنه تراجع ، ثم قال أخيرا :

– إنها مولعة أشد الولع بابنها الصغير ، بينما كنا نجلس في غرفة الجلوس الخضراء بعد العشاء ، وانتهينا من شرب القهوة ونحن نتحدث في شتى الموضوعات سمعت صوت مواء القطة خارج الباب كأنها تتوسل لكي يفتح لها أحدهم الباب ، ولكن إنسانا لم يكترث بها ، وحيث إنني أحب الحيوانات ، فقد نهضت من مكاني قائلا للسيدة "**كارمايكل**" :

– هل أسمح للمسكينة بالدخول ؟

امتقع وجهها بشكل ظاهر ، ولكنها أومأت لي برأسها ، توجهت إلى الباب وفتحته ولكنني لم أجد شيئا في الخارج ، وقلت :

– أمر غريب .. أستطيع أن أقسم أنني سمعت مواء القطة.

بينما كنت أعود إلى مقعدي ، لاحظت أن الجميع يراقبونني عن كثب ، وداخلني إحساس بعدم الارتياح ، وذهبنا للنوم في وقت مبكر ، وصحبني "**ستيل**" إلى غرفتي ، ثم قال لي :

– هل حصلت على كل ما تريده ؟

– نعم .. شكرا لك .. بهذه المناسبة ، سبق أن قلت لي إن في هذا البيت شيئا غير طبيعي ، ورغم هذا فالبيت يبدو عاديا .

– هل تستطيع أن تقول : إنه بهيج ؟

– لا .. فالحزن يظلله في الظروف الراهنة .

وقال "**ستيل**" باقتضاب :

– طابت ليلتك وأتمنى لك أحلاما سعيدة .

ولقد حلمت بالفعل ..حلمت بالقطة البائسة ، واستيقظت من نومي مفزوعا، وأدركت فجأة سبب تفكيري في القطة ، فقد كانت القطة تموء خارج الباب ، ولم يكن باستطاعتي أن أنام والمواء مستمر ، أشعلت شمعة وتوجهت نحو الباب ، ولكن الممر خارج الباب كان خاليا ، وطرأت على ذهني فكرة ، قد تكون القطة محبوسة في مكان ما .. كانت نهاية الممر تقع إلى اليسار حيث توجد غرفة نوم السيدة "**كارمايكل**" ، لهذا اتجهت يمينا ، وما كدت أخطو بضع خطوات حتى انقطع المواء ثم سمعته ورائي فاستدرت بحدة فسمعت الصوت من جديد بوضوح على يميني .

أحسست برعدة تسري في بدني ، ربما لمرور تيار هوائي ، وعدت إلى غرفتي.. عاد الهدوء مرة أخرى ، وسرعان ما استغرقت في النوم حتى الصباح. بينما كنت أرتدي ثيابي ، لمحت من النافذة الشيء الذي تسبب في إزعاجي في أثناء الليل ، كانت القطة الرمادية تزحف ببطء على الحشائش ،

وخيل إليّ أنها تريد أن تهاجم سربا من الطيور الصغيرة ، ثم حدث بعد ذلك شيء غريب . .

فقد رأيت القطة تسير بين الطيور ويكاد شعرها يلمسها ، ولم تفزع الطيور، ولم أستطع أن أفهم ما يحدث أو أجد له تعليلا مقبولا ، ظل الموضوع يشغل بالي إلى درجة أنني اضطررت إلى ذكر هذه الواقعة في أثناء تناول الفطور ، وقلت للسيدة "**كارمايكل**" :

- هل تعرفين أن لديك قطة غير طبيعية ؟

سمعت صوت احتكاك قدح الشاي بالطبق بين يدي "**فيليس باترسون**" ، ثم رأيت شفتيها ترتجفان ، وأنفاسها تتلاحق بسرعة وهي تحملق في وجهي بشدة . .

وخيم الصمت برهة ، ثم قالت السيدة "**كارمايكل**" بضيق شديد :

- أعتقد أنك مخطئ ، لأنه لا توجد قطة في البيت . . ولم تكن لدي قطة قط . اعتراني الارتباك وحاولت تغيير دفة الحديث بسرعة وأنا في دهشة أسأل نفسي : لماذا صرحت السيدة "**كارمايكل**" بعدم وجود قطة في البيت ؟ هل هي قطة الآنسة "**باترسون**" ولا تعلم ربة البيت شيئا عن القطة ؟ ربما تكون السيدة "**كارمايكل**" من المعادين للقطط . .

كانت حالة المريض على ما هي عليه ، وأجريت له في هذه المرة فحصا شاملا واستطعت أن أدرس حالته عن قرب ، وبناء على اقتراحي ، اتخذت الترتيبات لكي يقضي المريض معظم أوقاته مع أفراد الأسرة ، وكنت أهدف من وراء ذلك إلى مراقبة الشاب عن كثب دون أن يفطن ، وعسى أن يوقظ روتين الحياة اليومية في نفسه بعض الذكريات ، إلا أن سلوكه ظل بدون تغيير . كان الشاب هادئا مسالما وكان يظهر احتراما شديدا لزوجة أبيه ، أما بالنسبة إلى

الآنسة "**باترسون**" فقد كان يتجاهلها تماما ، إلا أنه كان شديد الحرص على الجلوس في أقرب مكان من السيدة "**كارمايكل**" ورأيته مرة يمسح رأسه في كتفها ..

شعرت بالقلق أمام هذه الحالة ، وكنت واثقا بأن وراء المسألة سرا لا أتبينه، وقلت لـ "**ستيل**" :

– هذه حالة شديدة الغرابة .

قال "**ستيل**" :

– ألا تذكرك هذه الحالة بشيء معين ؟

ذكرتني تلك الكلمات بالأفكار التي طافت برأسي في اليوم السابق .. كان الغموض يحيط بالمسألة كلها ، فهناك موضوع القطة الرمادية ، والحلم الذي رأيته .. وذهبت إلى الخادم لأستفسر منه ، وقلت له :

– هل تستطيع أن تخبرني بشيء عن القطة التي أراها ؟

قال الخادم بأدب :

– القطة يا سيدي ؟

– أ .. ألم تكن هناك قطة ؟

– كانت لدى السيدة قطة .. قطة كبيرة .. كان لابد من التخلص منها للأسف الشديد ... كانت حيوانا جميلا يا سيدي .

وسألته ببطء :

– هل كانت رمادية اللون ؟

– نعم يا سيدي .

– هل أنت واثق بأنه تم تدمير القطة ؟

– كل الثقة يا سيدي .. لم تشأ السيدة أن ترسلها للطبيب البيطري

وفعلت ذلك بنفسها .. كان ذلك منذ أسبوع .. والقطة مدفونة تحت شجرة خشب الزان الكبيرة

.. ظللت أفكر بعد انصراف الخادم عن سبب تأكيد السيدة "**كارمايكل**" أنه لم تكن توجد قط قطة في البيت وعندما التقيت بـ "**ستيل**" قلت له :

– "**ستيل**" .. أريد أن أوجه إليك سؤالا .. هل رأيت أو سمعت عن قطة رمادية في البيت؟

لم تبد عليه الدهشة لدى سماعه هذا السؤال، وقال:

– سمعت عنها ولكنني لم أرها .

– ولكن في أول يوم عندما رأينا الآنسة "**باترسون**" كان معها قطة رمادية أخذ يرمقني بنظرات ثابتة ثم قال :

– رأيت الآنسة "**باترسون**" تسير وحدها في الحديقة.

بدأت أفهم وقلت له :

– إذن – فالقطة وهم ؟

أومأ برأسه ثم قال :

– أردت أن أرى – دون أن أحيطك علما – ما إذا كنت ستسمع ما نسمعه.

– إذن فأنتم جميعا تسمعون الصوت ؟ لم أسمع من قبل عن شبح قطة يحوم داخل بيت .

أخبرته بما سمعته من الخادم وأعرب لي عن دهشته قائلا :

– هذه أخبار جديدة بالنسبة إلي .. لم أكن لأعرف هذه الحقيقة .

– ولكن ما معنى هذا ؟

هز رأسه قائلا :

– الله وحده يعلم ، ولكنني أقول لك يا "**كارستيرز**" : إنني خائف .. هذا الصوت يحمل معنى التهديد .

وقلت له بحدة :

– التهديد ؟ لمن ؟

– لا أستطيع أن أقول .

لم أفهم المعنى الذي يقصده. قبل حلول الليل كنا نجلس في غرفة الجلوس الخضراء كما كنا نفعل ليلة وصولي عندما سمعنا صوت مواء مرتفع خارج الباب . ولكنه كان غاضبا في هذه المرة ويحمل لهجة التهديد ، توقف المواء ، سمعنا صوت مقبض الباب يخشخش بعنف كأن مخلب قط يعبث به .

اندفعنا نحو الباب ولكننا لم نعثر على شيء كانت "**فيليس**" ترتعد من الفزع، بينما يحاكي وجه السيدة "**كارمايكل**" وجوه الموتى ، كان "**آرثر**" وحده هو الذي يتربع في جلسته هادئا كالطفل . معتمدا برأسه على ركبة زوجة أبيه . وضعت الآنسة "**باترسون**" يدها فوق ذراعي وصعدنا السلم ، وقالت لي :

– ماذا يعني كل هذا يا دكتور "**كارستيرز**" ؟

– لم نعرف السبب بعد .. ولكنني سوف أتوصل للسر .. لا تخافي شيئا، فأنا مقتنع بأنه لا يوجد ثمة خطر يهدد حياتك شخصيا .

نظرت إلي بارتياب ثم قالت :

– هل تعتقد ذلك حقا ؟

– إنني واثق بما أقول .

تذكرت منظر القطة وهي تتمسح برجليها بوداعة ، مما يعني أن التهديد ليس موجها إليها .

كنت أستلقي على السرير لأنام عندما داخلني شعور غامض سبب لي بعض القلق ، وخيل إلي أنني أسمع خربشة مخالب قط وصوت شيء يتمزق، قفزت من السرير واندفعت بسرعة نحو الممر ، ورأيت "**ستيل**" يندفع إلى الممر من الجانب الآخر .. كان الصوت صادرا من مكان ما على يسارنا ، وقال "**ستيل**" بارتياب :

– هل سمعت الصوت يا "**كارستيزر**" ؟ هل سمعته ؟

أسرعنا نحو غرفة السيدة "**كارمايكل**" ، لم نر شيئا يمر أمامنا ولكن الصوت توقف ، وألقينا أضواء شموعنا على باب السيدة "**كارمايكل**" ، وحدق كل منا في وجه الآخر بدهشة ، وقال "**ستيل**" هامسا :

– هل تعرف أي صوت هذا ؟

أومأت برأسي قائلا :

– مخلب قط يخربش شيئا ويمزقه .

سرت في بدني رجفة خفيفة ، ثم صحت بدهشة وأنا أخفض الشمعة التي أحملها :

– انظر هنا يا "**ستيل**" .

كان المقصود بـ"هنا " مقعدا يستند إلى الحائط وكان كساؤه ممزقا إلى شرائح بالطول .

فحصنا المقعد عن قرب ، ونظر إلي "**ستيل**" وهو يقول :

– مخالب قط .. لا شك في هذا .

انتقل بصره من المقعد إلى الباب المغلق قائلا :

– هذا هو الشخص الذي ينصب عليه التهديد .السيدة "**كارمايكل**" !

لم أستطع النوم في تلك الليلة ، لقد بلغت الأمور حدا يتطلب الحركة

السريعة، وكنت أعلم أن شخصا واحدا بيده مفتاح السر ، وازدادت شكوكي في أن السيدة "**كارمايكل**" تعرف أكثر مما تصرح به .

ازداد شحوب وجهها صباح اليوم التالي وهي تنزل من حجرتها لتناول الفطور ، وظلت تنظر إلى الطعام دون أن تقربه ، وكنت على ثقة من أن إرادة حديدية هي التي تمنعها من الانهيار ، وطلبت منها بعد الفطور أن أتبادل معها بعض الحديث قائلا لها :

– السيدة "**كارمايكل**" .. لدي أسباب تجعلني أومن أنك تواجهين خطرا داهما .

أجابت دون اكتراث قائلة :

– أحقا ؟

استأنفت حديثي قائلا :

– هنا في هذا البيت .. شيء .. شيء موجود يقف منك موقفا عدائيا .

قالت باحتقار :

– إنني لا أصدق شيئا من هذا العبث .

قلت لها بجفاف :

– المقعد الموجود أمام غرفتك .. لقد تمزق تماما في الليلة الماضية .

رفعت حاجبيها متصنعة الدهشة وهي تقول :

– حقا ! ربما كان مجرد مزاح سخيف .

وقلت لها :

– ليس الأمر كذلك ، وأريد منك أن تصارحيني لصالحك .

– سكتت قليلا وقالت :

– أصارحك بأي شيء ؟

قلت لها بلهجة جادة :

– أي شيء يلقي الضوء على الغموض الذي يحيط بالموضوع .

ضحكت وهي تقول :

– إني لا أعرف شيئا .. لا أعرف شيئا على الإطلاق .

رغم هذا كنت مقتنعا بأنها تعرف شيئا خطيرا لا تريد أن تبوح به ، وأن بيدها مفتاح السر الغامض بالنسبة إلينا، ولكنني لم أجد وسيلة لإقناعها بالكلام. على أي حال، قررت اتخاذ كل الاحتياطات الممكنة، مقتنعا بأن خطرا جسيما يتهددها، وقمت مع "**ستيل**" بفحص حجرتها في الليلة التالية قبل أن تذهب إليها ، واتفقنا على أن نتبادل نوبات الحراسة للممر.

أخذت نوبة الحراسة الأولى وقد انقضت دون حادث ، وجاء "**ستيل**" في الثالثة صباحا ليأخذ نوبته ، كنت متعبا من أثر السهر في الليلة الماضية ، ومن ثم نمت في الحال وحلمت حلما شديد الغرابة .

حلمت أن القطة الرمادية تقبع تحت سريري ، وأنها تنظر إلي متوسلة ، ثم أدركت من نظراتها أنها تطلب مني أن أتبعها ، واستجبت لرغبتها ، وقادتني القطة إلى الجناح الآخر في البيت حيث توجد غرفة من الواضح أنها المكتبة، وقفت القطة على قدميها الخلفيتين وهي تشير بقدميها الأماميتين إلى رف معين للكتب ، وهي لا تزال ترمقني بتلك النظرات المتوسلة .

ثم بهتت صورة المكتبة والقطة وفتحت عيني على نور الصباح ... انتهت نوبة "**ستيل**" بدون حادث ، ورويت عليه الحلم ، وبناء على طلبي قادني إلى غرفة المكتبة التي كانت تطابق جميع التفاصيل التي رأيتها في الحلم ، وأطلعته على المكان الذي كانت القطة تقف فيه ، ولدهشتنا وجدنا مكان

أحد الكتب خاليا ، وقال "**ستيل**" :

– انتزع أحدهم كتابا من هذا الرف . .

عندما فحص "**ستيل**" موضع الكتاب الناقص قال :

– مرحى ! يوجد مسمار خلف الرف ، وقد تمزقت قطعة من الغلاف وتعلقت بالمسمار .

فحص "**ستيل**" قطعة الورق بعناية ، ولم تكن مساحتها تزيد على بوصة مربعة ، ولكن كلمة واحدة كانت ظاهرة عليها لها دلالتها : القطة . .

حملق كل منا في وجه الآخر ، وقال "**ستيل**" :

– لقد بدأ رأسي يدور . . هذا شيء فظيع .

– أريد أن أعرف موضوع الكتاب المفقود . هل تعتقد أنه توجد وسيلة لذلك؟

– ربما يكون اسمه مدرجا في كتالوج هنا ، أو ربما تكون السيدة "**كارمايكل**" هززت رأسي نفيا وأنا أقول له :

– لن تقول السيدة "**كارمايكل**" شيئا .

– أهذا ما تعتقده ؟

– إنني واثق بذلك . بينما نحن نتخبط في الظلام تعرف هي الحقيقة ، ولأسباب خاصة بها لا تريد أن تتكلم ، وهي تفضل وقوع خطر فظيع على أن تبوح لنا بالسر .

انتهى اليوم دون وقوع حوادث مما ذكرني بالهدوء الذي يسبق العاصفة ، وداخلني إحساس غريب بأن المشكلة في طريقها إلى الحل ، وأن الحقائق موجودة في انتظار من يكشف النقاب عنها .

ولم يخب ظني ! وبوسيلة شديدة الغرابة ! حدث ذلك بينما كنا نجلس في

غرفة الجلوس الخضراء كالعادة بعد العشاء ، كنا غارقين في الصمت ، عندما جرى فأر صغير على أرض الغرفة .. وفي غمضة عين حدث الشيء .. قفز "**آرثر كارمايكل**" من مقعده ، وجرى مقتفيا أثر الفأر ، وكان الفأر قد اختبأ في جحر، وقبع "**آرثر**" على الأرض يتربص للفأر وكل جسده يرتعد في تحفز.

كان شيئا فظيعا .. لم يعد يساورني الشك في ذلك الشيء الذي كان منظر الشاب يذكرني به وهو يزحف على الأرض دون أن يصدر صوتا .. طردت الفكرة باعتبارها مستحيلة ، ولكنني لم أستطع أن أبعدها عن ذهني .

أكاد لا أتذكر ما حدث بعد ذلك ، لأن الأمر كله كان يبدو خياليا .. والذي أذكره أننا ارتقينا السلم لنذهب إلى حجراتنا ..

وقف "**ستيل**" أمام باب غرفة السيدة "**كارمايكل**" ليقوم بنوبة الحراسة الأولى ، واتفقنا على أن يناديني في الثالثة صباحا ، لم أكن لأخشى وقوع شيء للسيدة "**كارمايكل**" ، فقد سيطرت علي النظرية الغريبة التي تخيلتها، وكنت أقول لنفسي إن ما أتصوره ضرب من المستحيل .

تبدد سكون الليل فجأة ، فقد سمعت صوت "**ستيل**" يناديني ، واندفعت بسرعة نحو الممر ، ورأيت صديقي يدق بعنف على باب السيدة "**كارمايكل**" ، وقال "**ستيل**" بانفعال :

– إنها هنا في الداخل يا رجل ! في الداخل معها ! ألا تسمع الصوت ؟

سمعت من وراء الباب صوت مواء القطة التي تموء بوحشية .. ثم سمعت صوت صرخة عالية .. ثم صرخة ثانية .. وتعرفت على صوت السيدة "**كارمايكل**" وصحت قائلا بحدة :

– الباب ! لابد من تحطيم الباب وإلا دخلنا بعد فوات الأوان .

دفعنا الباب بأكتافنا بكل ما نملك من القوة وتهاوى الباب وكدنا نسقط

على الأرض .

كانت السيدة "**كارمايكل**" ممدة على السرير غارقة في الدم ..

لم أر في حياتي مثل ذلك المنظر البشع ، كان قلبها لايزال ينبض ، ولكن جراحها كانت جسيمة ، لأن جلد العنق كان ممزقا .. همست وأنا أرتجف :

ـ المخالب !

ضمدت الجراح وغطيتها بضمادة ، واقترحت سرا على "**ستيل**" ألا نكشف شيئا عن طبيعة تلك الجراح ، خاصة بالنسبة إلى الآنسة "**باترسون**" ، وأرسلت برقية لاستدعاء إحدى ممرضات المستشفى ..

كانت أضواء الفجر تتسلل من النافذة ، ونظرت إلى الأرض المعشوشبة قائلا لـ "**ستيل**" :

ـ ارتد ثيابك لنخرج .. سوف تتحسن حالة السيدة "**كارمايكل**" الآن .

ارتدى "**ستيل**" ثيابه على عجل وذهبنا إلى الحديقة ، وقال "**ستيل**" :

ـ ما الذي تريد أن تفعله ؟

ـ سوف نحفر الأرض نبشا عن جثة القطة ..يجب أن أتأكد من هذه النقطة. عثرت على جاروف وبدأنا نحفر أسفل شجرة خشب الزان الكبيرة ، وكللت جهودنا بالنجاح . لم تكن مهمة سارة ، فقد ماتت القطة منذ أسبوع، إلا أنني رأيت ما كنت أريد التأكد منه .. وقلت لـ "**ستيل**" :

ـ هذه هي القطة .. القطة التي رأيتها في اليوم الأول لوصولي .

تشمم "**ستيل**" الهواء بأنفه .. كانت رائحة اللوز المر لا تزال موجودة ، وقال "**ستيل**" : حامض البروسيك ..

أومأت برأسي وسألني بدهشة ..

ـ ما رأيك ؟

– هو نفس ما يجول بخاطرك .

لم تكن نظريتي جديدة بالنسبة إليه، لأنه فكر في الشيء نفسه، وتمتم قائلا :

– هذا مستحيل ! مستحيل ! إنه مخالف لكل القوانين العلمية والطبيعية . . ذلك الفأر في الليلة الماضية . .أوه . . ولكن هذا غير معقول .

– السيدة "**كارمايكل**" سيدة بالغة الغرابة . . إنها تملك قوى سحرية غامضة . . ولديها القدرة على تنويم الأشخاص ، عاش أسلافها في الشرق ، ولا ندري أي نوع من القوى استخدمتها للتأثير على شخص كـ"**آرثر كارمايكل**" . . ولا تنس يا "**ستيل**" ، أن "**آرثر**" لو ظل معتوها لا حيلة له ، وظل على خنوعه لها ، فإن جميع ممتلكاته تنتقل من الناحية العملية إلى ابنها – الذي أخبرتني بأنها تحبه إلى درجة الجنون ، وكان "**آرثر**" يستعد للزواج !

– ولكن ماذا سوف نفعل يا "**كارستيرز**" ؟

– لا شيء . . سوف نبذل أقصى الجهد لنقف أمام رغبة السيدة "**كارمايكل**" في الانتقام .

تحسنت حالة السيدة "**كارمايكل**" ببطء . . واندملت جروحها بسرعة غير متوقعة ، إلا أن آثار الجراح من المحتمل أن تبقى معها حتى الموت . .

لم أحس من قبل بمثل عجزي الراهن ، فقد كانت القوة التي هزمتنا لا تزال في أوج سيطرتها ، ولم يكن أمامنا سوى انتظار تبدد تلك القوة . . كنت مصرا على شيء . .

لابد من إبعاد السيدة "**كارمايكل**" عن "**وولدن**" بمجرد أن نمنع تلك القوة من مطاردتها . . وهكذا مرت الأيام .

حددت يوم 18 أيلول (سبتمبر) موعدا لنقل السيدة " **كارمايكل** " ، وحدث ما لم نكن نتوقعه يوم 14 . .

كنت أتناقش في المكتبة مع " **ستيل** " حول حالة السيدة " **كارمايكل** " . عندما قدمت إحدى الخادمات لتقول بانفعال :

- أسرع يا سيدي ! لقد سقط السيد " **آرثر** " في البركة . .

ما كاد يضع قدمه في القارب المسطح حتى اندفع القارب واختل توازنه وسقط في الماء ! لقد شاهدت ما حدث من النافذة . .

اندفعت خارجا من الحجرة و " **ستيل** " يتبعني ، وكانت " **فيليس** " بالباب وسمعت كلام الخادمة ، وجرت معنا وهي تقول :

- لا يوجد مبرر للخوف . . لأن " **آرثر** " سباح ماهر .

كان سطح الماء ساكنا بينما ينزلق القارب فوق الماء ، ولكننا لم نعثر لـ " **آرثر** " على أثر .

خلع " **ستيل** " سترته وحذاءه وهو يقول :

- سوف أقفز إلى الماء ، وعليك أن تركب القارب الآخر وتبحث في الماء . . ليس العمق كبيرا .

ظللنا نبحث بدون جدوى ، وكانت الدقائق تتتابع بسرعة وعندما كاد اليأس يستولي علينا ، عثرنا عليه . . وسحبنا الجسد الذي فارقته الحياة إلى الشاطئ . لن أنسى ما حييت علامات الحزن اليائس الذي ارتسم على وجه " **فيليس** " وهي تقول :

- إنه لم . . إنه لم . .

كانت شفتاها ترفضان النطق بالكلمة البشعة ، وقلت لها :

- كلا . . كلا

يا عزيزتي .. لا تخشي شيئا ..

كنت أريد أن أطمئنها وإحساسي الداخلي بالأمل ضعيف ، فقد ظل الشاب تحت الماء مدة نصف الساعة ، وطلبت من "**ستيل**" أن يسرع إلى البيت بحثا عن أغطية دافئة وغير ذلك من الأشياء اللازمة ، وبدأت أجري بنفسي التنفس الصناعي ، وظللنا نواصل جهودنا ما يقرب من الساعة بدون أن تظهر على الغريق علامات الحياة ، وطلبت من "**ستيل**" أن يأخذ مكاني ، واقتربت من "**فيليس**" قائلا لها برقة :

– أخشى أن أخبرك بأن الوقت قد فات لكي نفعل شيئا من أجله .

ظلت صامتة برهة وجيزة ، ثم ارتمت فجأة فوق الجثة الهامدة وهي تصيح قائلة بيأس :

– "**آرثر**" ! "**آرثر**" ! عد إلي يا "**آرثر**" .. عد إلي ! تردد صدى صوتها في السكون، وأمسكت يد "**ستيل**" فجأة وأنا أقول بدهشة :

– انظر !

كانت مسحة خفيفة من اللون الأحمر تسري في وجه "**آرثر**" ..

تحسست قلبه وصحت بفرح :

– استمر في إجراء التنفس الصناعي .. إن الحياة تدب في جسمه ..

مر الوقت سريعا ، وفيما يشبه المعجزة ، فتحت العينان .. عينان آدميتان تشعان بالذكاء .. استقرت العينان على وجه "**فيليس**" ، وقال "**آرثر**" بصوت ضعيف :

– مرحبًا "**فيليس**" ! أهذه أنت ؟ كنت أفكر أنك لن تأتي قبل الغد ..

لم تطاوعها شفتاها على النطق ، ولكنها ابتسمت له .

وأدار "**آرثر**" بصره حوله في حيرة ثم قال :

– ولكن أين أنا ؟ ولماذا أشعر بهذا الضعف الشديد ؟

ما الذي حدث لي ؟ مرحبًا دكتور "**ستيل**" !

وأجابه "**ستيل**" بقوله وهو شارد اللب :

– كدت تموت غرقا .. هذا هو ما حدث .

عبس السيد "**آرثر**" وقال :

– ولكن كيف حدث ذلك ؟ كنت أسير في أثناء النوم ؟

هز "**ستيل**" رأسه نفيا ، فقلت :

– يجب أن نعود إلى البيت ..

حملق "**آرثر**" إلى وجهي ، وقامت "**فيليس**" بواجبات التعارف قائلة :

– الدكتور "**كارستيرز**" .. إنه ينزل معنا في البيت .

ساعدنا "**آرثر**" على المشي إلى البيت ، ولاح عليه أن فكرة مفاجئة طرأت على ذهنه ، وقال :

– أريد أن أسألك يا دكتور .. هل يعطلني هذا الحادث عن الاستعداد ليوم 12 ..

وقلت له ببطء :

– الثاني عشر ؟ تعني الثاني عشر من شهر آب (أغسطس) ؟

– نعم .. يوم الجمعة القادم .

فقال له "**ستيل**" بحدة :

– اليوم هو الرابع عشر من أيلول (سبتمبر) .كان قلق "**آرثر**" واضحا وهو يقول:

– ولكن .. ولكنني كنت أظن أن اليوم هو الثامن من آب (أغسطس) ..

لا شك أنني كنت مريضا .

تدخلت "**فيليس**" في الحديث قائلة له بصوتها الرقيق :

– نعم . . كنت فريسة مرض شديد .

قطب "**آرثر**" جبينه ثم قال :

– إنني لا أفهم شيئا . . كنت في صحة جيدة عندما ذهبت إلى سريري في الليلة الماضية . . على الأقل لم يكن ذلك في الليلة الماضية على وجه التحديد، فقد حلمت . . إنني أتذكر الأحلام . .

قطب جبينه مرة أخرى وهو يحاول أن يتذكر ، ثم استرسل في حديثه قائلا :

– شيء . ماذا كان ذلك الشيء ؟ شيء مروع . . شيء فعله بي أحدهم ، وكنت غاضبا – يائسا . . ثم حلمت أنني تحولت إلى قطة . . نعم شيء مضحك ، أليس كذلك ؟ ولكن الحلم لم يكن مضحكا كان شيئا فظيعا ولكنني لا أستطيع أن أتذكر . . إنه يفلت من ذاكرتي عندما أحاول التفكير.

وضعت يدي على كتفه وأنا أقول له :

– لا تحاول التفكير يا سيد "**آرثر**" . . كن قانعا بالنسيان .

نظر إلي في حيرة ، وسمعت "**فيليس**" تتنهد بارتياح ، وكنا قد وصلنا إلى البيت، وقال "**آرثر**" فجأة :

– بهذه المناسبة . .أين ربة البيت ؟

قالت "**فيليس**" بعد لحظة تردد :

– لقد كانت مريضة .

وقال باهتمام شديد :

– أوه ! يا للأم المسكينة ! . . أين هي ؟ هل هي في غرفتها ؟

وقلت له :

– نعم .. ولكن من الأفضل ألا تزعجها لأنها ..

ماتت الكلمات على شفتي ، وفتح الباب في تلك اللحظة وظهرت السيدة "**كارمايكل**" قادمة من الصالة .

كانت نظراتها مركزة في "**آرثر**" ، كانت نظرات تكشف عن الرعب ، وكان وجهها أبعد ما يكون عن الآدمية وهي تنظر إليه تلك النظرة ، وارتفعت يدها نحو رقبتها ، وتقدم "**آرثر**" نحوها بحنو صبياني قائلا :

– مرحبًا ! إذن فقد كنت أنت أيضا فريسة المرض ؟ إنني أعبر عن أسفي البالغ .

ارتدت أمامه مذعورة ، وعيناها زائغتان ، ثم أطلقت صرخة عالية وانسحبت بسرعة من الباب المفتوح ، أسرعت إليها ، وانحنيت فوقها ، ثم وجهت حديثي إلى "**ستيل**" قائلا :

– صه ! خذ "**آرثر**" إلى حجرته ثم عد إلي .. لقد لفظت السيدة "**كارمايكل**" أنفاسها .

عاد "**ستيل**" بعد دقائق وهو يسألني بقلق :

– كيف حدث هذا ؟ ما السبب ؟

فقلت له :

– الصدمة .. الصدمة لرؤيتها "**آرثر كارمايكل** " .. "**آرثر**" الحقيقي وقد ارتد إلى الحياة ، أو تستطيع أن تقول بعبارة أخرى .. ! إنها العدالة الإلهية !

تردد "**ستيل**" قبل أن يقول :

– تعني

– حياة بحياة ..

– ولكن .

- أوه .. إنني أعلم أن حادثا غريبا لا يمكن تفسيره قد سمح لروح "**آرثر** **كارمايكل**" أن ترتد إلى جسده ، ورغم هذا فقد تعرض "**آرثر**" لجريمة قتل .

نظر إلي بارتياح وهو يقول بصوت منخفض :

- بحامض البروسيك ؟

- نعم .. بحامض البروسيك ؟

لم نتحدث أنا و"**ستيل**" قط في موضوع إيماننا . فمن ناحية كان "**آرثر**" يعاني حالة فقدان للذاكرة . وكانت السيدة "**كارمايكل**" هي التي مزقت رقبتها في حالة جنون مفاجئ ، وكان ظهور القطة الرمادية مجرد خيال ، إلا أنه توجد حقيقتان لا يمكن لعقلي أن يخطئهما .. الأولى تمزيق كساء المقعد في الممر ، والأخرى وهي أكثر دلالة العثور على كتالوج المكتبة ، وبعد بحث شاق اتضح أن الكتاب المفقود مجلد قديم يبحث في تناسخ الأرواح البشرية وحلولها في أجساد الحيوانات ! شيء آخر .. أحمد الله على أن "**آرثر**" لا يعلم شيئا ، فقد دفنت "**فيليس**" أسرار تلك الأسابيع في صدرها ، وأنا على ثقة بأنها لن تكشف ذلك السر لزوجها الذي تحبه حبا شديدا ، وقد اخترق حاجز القبر بناء على دعوة من صوتها ..

*****

نداء الأجنحة

كانت أول مرة يسمع فيها "**سايلاس هامر**" الصوت في إحدى ليالي الشتاء في شهر شباط (فبراير) ، وكان يسير مع "**ديك بورو**" بعد تلبية دعوة العشاء من "**برنارد سيلدون**" إخصائي الأمراض العصبية .. كان "**بورو**" صامتا على خلاف عادته، وسأله "**سايلاس هامر**" بفضول عما يشغل باله ، وكان رد "**بورو**" غريبا حيث قال : – كنت أفكر في أن رجلين من بين جميع الرجال في العالم أبعد ما يكونان عن الإحساس بالسعادة – أنا وأنت .

كان وجه الغرابة أن الرجلين على طرفي نقيض ، فقد كان "**ديك بورو**" راعي كنيسة في "**الوست إند**" ، بينما "**سايلاس هامر**" مليونيراً ذائع الصيت، وقال "**بورو**" : – الغريب أنني أعتقد أنك المليونير الوحيد الذي يشعر بالقناعة .

لزم "**هامر**" الصمت برهة ، ثم قال :

– كنت بائع صحف بائساً ، وتمنيت وقتها – ما أنعم به الآن – المال، والراحة وليست القوة .. كنت أريد المال لا النفوذ والقوة .. كانت كل أمنيتي أن أعيش في رخاء .. وأنا أتفق معك على أن المال لا يشتري كل شيء أريده .. لهذا فأنا قانع .. إنني رجل مادي يا "**بورو**" .. مادي من الداخل والخارج . أظهر الضوء الساطع المنبعث من مصباح الشارع الفارق الواضح بين الرجلين ، "**سايلاس**" بسترته المبطنة بالفراء ولحمه المكتنز . و"**ديك بورو**" بنحوله وزوغان بصره ..

وقال "**هامر**" :

– إنه أنت الذي لا أفهمه ..

ابتسم "**بورو**" وقال :

– إنني أعيش وسط الفقر والحاجة والجوع .. وأومن بالأشباح التي أراها من حولي ، ولا أعتقد أنك تؤمن بعالم الرؤى والأشباح .

وقال "**سايلاس هامر**" بتصميم :

– إنني لا أومن بشيء لا أراه أو أسمعه .

– تماما .. وهذا هو الفارق بيني وبينك .. حسن ..ها قد وصلنا إلى مفترق الطرق .. سوف أتركك هنا ..

تابع "**هامر**" المشى وحده ، وكان سعيدا لأنه صرف السيارة وفضل المشي في هذه الليلة .. كان الهواء باردا ، ولكن السترة المبطنة بالفراء بعثت الدفء في جسمه ..

وقف على الرصيف ينتظر خلو الطريق ليعبر إلى الجانب الآخر ، ورأى سيارة نقل ضخمة تقبل مسرعة ، آثر الانتظار حتى تمر السيارة ، وكان يقف بجواره على الرصيف رجل مخمور رث الثياب ، وسمع "**هامر**" صرخة مدوية عندما مرت به السيارة ، ورأى الرجل المخمور في غمضة عين كتلة من اللحم والثياب الممزقة مكومة على الأرض .. تجمع الناس ، وجاء شرطيان أحاطا بالسائق ، ولكن عيني "**هامر**" ظلتا مركزتين في كتلة الحطام البشري الملقاة على الأرض .. وقد كانت لرجل .. إنسان مثله .. وسرت في بدنه رجفة شديدة. سمع صوت أحد المارة بجواره يقول له :

– لا تلق اللوم على نفسك يا سيدي .. ثم لم يكن باستطاعتك أن تفعل شيئا من أجله .. لقد كان محكوما عليه بالموت على أي حال .

حملق "**هامر**" في وجه محدثه .. لم تخطر على باله قط فكرة إنقاذ الرجل.. لو أنه حاول بغباء أن يفعل ذلك فربما كان في هذه اللحظة .. ابتعد

عن الزحام وبدنه لا يزال يرتعد من الرعب .. كان لابد له من الاعتراف بينه وبين نفسه أنه خائف .. مذعور من الموت .. الموت الصارم الذي ينقض فجأة ولا يفرق بين الغني والفقير . أسرع خطاه ولكن الخوف ظل في داخله يبعث في بدنه البرودة والرعدة .. تعجب من نفسه ، فهو يعرف أنه ليس جبانا بطبيعته .. وفكر في أنه منذ خمس سنوات لم يكن ليعرف هذا الخوف ، لأن الحياة وقتها لم تكن حلوة .. نعم .. هكذا كان الحال ، لقد كان حب الحياة هو السر ، كان تعلقه بالحياة في ذروته .. ولم يكن ليهددها سوى خطر واحد : الموت .

استدار نحو ممر ضيق بين التلال لكي يختصر الطريق إلى الميدان الذي يقع فيه بيته الحافل بالكنوز الغنية ، وبدأ صخب الشارع العمومي من خلفه يخفت ، وكان وقع أقدامه هو الصوت الوحيد الذي يعكر سكون الليل ، ثم طالعه بعد قليل صوت جديد من الأمام ، ورأى رجلا يستند إلى الحائط وهو يعزف الناي – واحد من قافلة الموسيقيين العديدين الذين يجوبون الشوارع– ولكن لماذا اختار مثل هذا المكان الغريب ؟ ربما ليتجنب رجال الشرطة .. انقطع حبل تفكيره فجأة عندما اكتشف أن الرجل مبتور الساقين ، وقد أسند عكازيه إلى الحائط بجواره ، ورأى كذلك الناي الذي يعزف عليه الرجل آلة موسيقية غريبة ، وأن النغمات التي تصدر عنها أعلى من نغمات أي ناي آخر..

استمر الرجل في عزفه دون أن يلقي بالا لـ "**هامر**" .. وكان رأسه مرتدا وراء كتفيه كأنما رفعه السحر الذي ينطلق من نايه ، وأخذت الأنغام تتعالى بوضوح ومرح ويرتفع صوتها أعلى وأعلى ..

كانت نغمة غريبة .. لم تكن نغمة على الإطلاق . كانت جملة واحدة

تختلف عن لحن كمان "رينزي" ، ويتكرر اللحن المرة بعد المرة ويعلو الصوت في كل مرة عن سابقه ، ولكنه يتميز في كل مرة بحرية أكبر ..

لم يكن اللحن شبيها بأي لحن آخر سمعه "هامر" من قبل .. كان شيئا ملهما يتصاعد إلى السماء .. تشبث "هامر" بدعامة بارزة في الجدار بجانبه، وكان واعيا بشيء واحد . أن يمسك الدعامة بكلتا يديه لكي تظل قدماه على الأرض.

تنبه فجأة لتوقف الموسيقى ، ورأى الرجل المشوه يمسك عكازيه ، وبينما "سايلاس هامر" يتشبث بدعامة الجدار خشية أن تحلق به الموسيقى فوق الأرض.

ضحك "هامر" لهذه الهواجس الغريبة .. يا لها من فكرة مجنونة ! لم ترتفع قدماه عن الأرض ، ولكن يا لها من هلوسة ! أفاق "هامر" على صوت ارتطام عكازي الموسيقي بالأرض ، وتابع الرجل بنظراته حتى ابتلعه الظلام...

يا له من إنسان غريب !

استأنف "هامر" سيره ببطء ، ولكنه لم يستطع أن يمحو من ذاكرته الإحساس الغريب بأنه كان يوشك أن يحلق فوق الأرض ، وحول "هامر" رأسه واستدار ليتبع الموسيقي ، وكان واثقا بأنه سوف يلحق به ، وصاح فور أن لمح الرجل :

- هاي ! أنت يا هذا .. لحظة واحدة ..

توقف الرجل حتى لحق به "هامر" ، وسقط ضوء مصباح الشارع على وجهه.. حبس "هامر" أنفاسه مدهوشا ، فقد كان وجه الرجل من أجمل الوجوه التي رآها المليونير طوال حياته .. وكان في أوج الشباب والقوة ، ووجد "هامر" صعوبة في بدء الحديث ، ثم قال بتردد :

– استمع إلي . .أريد أن أعرف اللحن الذي كنت تعزفه .

ابتسم الرجل . . وخيل لـ "**هامر**" أن العالم يرقص مرحا مع تلك الابتسامة ، وقال الموسيقار :

– إنه لحن قديم . . قديم للغاية . . ربما عمره بضعة قرون .

كانت نبرات صوته شديدة الوضوح ، ولكنه لم يكن إنجليزيا ، ولم يستطع "**هامر**" أن يحدد جنسيته ، فسأله :

– لست إنجليزيا ؟ من أي البلاد جئت ؟

ابتسم الرجل مرة أخرى ابتسامة عريضة وقال :

– جئت عبر البحر يا سيدي منذ زمن طويل ، منذ زمن طويل جدا .

– لا شك أنك أصبت في حادث . . هل وقع لك الحادث أخيرا ؟

قال الرجل بهدوء :

– كان ذلك خيرا . . فقد كانتا شريرتين !

– كان حظا سيئا أن تفقد كلتا ساقيك .

– كان ذلك خيرا . . فقد كانتا شريرتين !

أسقط "**هامر**" شلنا في يد الرجل وأدار له ظهره وهو يفكر فيما قال الرجل: كانتا شريرتين . . وبدت الكلمات غريبة ، وظل "**هامر**" يفكر فيها بعد وصوله إلى منزله ، وعبثا حاول أن يطرد الفكرة عن خاطره . . رقد في السرير ولم يطرق النوم أجفانه حتى دقت الساعة الواحدة صباحا . دقة واحدة ثم خيم الصمت . . الصمت الذي قطعه صوت مألوف . . أحس "**هامر**" بضربات قلبه تزداد سرعة ، كان صوت الرجل في الممر يعزف على الناي . . وكان الصوت قادما من بعيد .

كانت النغمة نفسها . . وكان اللحن يتردد بشكل ساحر . .

وهمس "**هامر**" لنفسه : إنه خارق للطبيعة .. كأن له أجنحة !

ازداد اللحن وضوحا وهو يرتفع أكثر وأكثر . كل موجة تعلو على سابقتها، و"**هامر**" يحلق معها . لم يحاول أن يمنع نفسه .. وأخذ يحلق أعلى وأعلى يداخله إحساس بالانتصار والتحرر .. وظل "**هامر**" يرتفع والنغمات تعلو وتعلو حتى تجاوزت حدود الصوت البشري ومع هذا فقد استمرت في الارتفاع .. هل تصل إلى الهدف النهائي .. الكمال المطلق في الارتفاع ؟

كان شيء يجذب "**هامر**" إلى أسفل .. شيء كبير وثقيل يجذبه بإصرار ليهبط .. ظل "**هامر**" يحدق في النافذة المواجهة له مبهورا ، وهو يتنفس بصعوبة وألم .. مد ذراعه أمامه وأحس بها تؤلمه .. وشعر بنعومة الفراش تخزه ، وبالستائر الثقيلة المسدلة على النافذة تحجب عنه الهواء والنور ، وأن السقف يجثم على أنفاسه .. أحس بالضغط والاختناق ، وتململ قليلا في فراشه ، وخيل إليه أن ثقل جسمه هو أكثر الأشياء التي تضغط عليه ..

- 2 -

– أريد أن أستشيرك يا "**سيلدون**" .

دفع "**سيلدون**" مقعده قليلا إلى الوراء ، وكان يتساءل عن سر هذه الدعوة على العشاء ، فلم يكن قد التقى بـ "**هامر**" منذ تلك الليلة في الشتاء ، وقال المليونير :

– إنني قلق .. قلق على نفسي .

ابتسم "**سيلدون**" وهو يقول :

– ولكنني أراك في أحسن حال .

– أ .. لدي إحساس بأنني في الطريق إلى الجنون !

أرهف الطبيب أذنيه باهتمام ، ثم قال بهدوء :

– ما الذي يجعلك تفكر في هذا ؟

– شيء حدث لي لا يمكن تفسيره أو تصديقه .. ونظرا لأنه لا يمكن أن يكون حقيقيا فلابد أنني جننت .

وقال "**سيلدون**" :

– خذ حريتك وحدثني عن ذلك الشيء ..

بدأ "**هامر**" بقوله :

– إنني لا أومن بالأشياء الخارقة للطبيعة .. ولكن هذا الشيء .. حسن .. من الأفضل أن أروي لك القصة من البداية .. بدأت القصة في إحدى ليالي الشتاء من تلك الليلة التي تناولت فيها العشاء معك.

روى له "**هامر**" الأحداث التي مرت به في رحلة العودة إلى بيته ، وأضاف إلى ذلك قوله :

– كانت تلك هي البداية .. أما إحساسي فلا أستطيع أن أصفه لك بدقة ، ولكنه شيء رائع ! يختلف عن أي شيء نراه في الأحلام .. وقد استمر الحال منذ تلك الليلة .. ليس كل ليلة ولكن بين الحين والحين .. الموسيقى والإحساس بالصعود .. التحليق في الفضاء ، ثم الجذب بعنف لأهبط إلى الأرض ، ثم ما يعقب ذلك من الألم .. الألم الذي تشعر به في أذنيك وأنت تهبط من جبل شاهق الارتفاع ويصاحب ذلك الإحساس الفظيع بالثقل ، وكأن شيئا يضغط عليك ويخنقك .

سكت "**هامر**" برهة ثم أردف يقول :

– يعتقد الخدم أنني جننت بالفعل .. لم أعد أطيق السقف والجدران ، وطلبت منهم أن يعدوا لي مكانا في سطح المنزل لا تظلله سوى السماء ..

عاريا من الأثاث والسجاجيد أو أي شيء يسبب الاختناق .. ورغم هذا فإن إحساسي بوجود المنازل الأخرى من حولي يسبب لي الضيق . إن الريف هو الذي أريده حيث أستطيع أن أتنفس بحرية .. والآن ما رأيك ؟ هل لديك تفسير لما يحدث ؟

– أ .. نعم .. لدي أكثر من تفسير .. ربما تكون قد نومت تنويما مغناطيسيا أو أنك نومت نفسك ، وقد حدث لأعصابك بعض الخلل ، أو ربما يكون مجرد حلم .. هز "**هامر**" رأسه قائلا :

– لا يجدي واحد من التفسيرين .

– هنالك تفسيرات أخرى ولكنها قد لا تكون مقبولة بصفة عامة .

– إنني على استعداد للاستماع إليها .

– هناك أشياء لا نجد لها تفسيرا .

– وبماذا تنصحني أن أفعل ؟

قال "**سيلدون**" بهدوء :

– أشياء كثيرة .. أن تغادر "**لندن**" مثلا وتذهب إلى الريف فربما توقفت الأحلام ..

قال "**هامر**" على الفور :

– لا أستطيع أن أفعل ذلك لأنني لا أستطيع الاستمرار بغير هذه الأحلام .

– آه ! هذا ما تخيلته .. تحدث مع الرجل حتى ينتهي هذا السحر .

هز "**هامر**" رأسه وسأله الطبيب :

– لماذا ؟

– لأنني خائف .

– لا تؤمن بذلك إيمانا أعمى . ذلك اللحن الذي تبدأ معه كل هذه

المتاعب، هل تستطيع أن تصفه لي ؟ همهم "**هامر**" باللحن والطبيب يصغي إليه ثم قال:

- إنه قريب الشبه من لحن . . "**رينزي**" . . فيه الإحساس بالارتفاع ولكنني لا أحلق في الفضاء عندما أستمع إليه .

- كلا كلا . . إنه يتصاعد في كل مرة أستمع إليه . . لا أستطيع أن أعبر بالكلمات عما أشعر به . . إنني أحس في كل مرة أنني أبلغ نقطة معينة تحملني إليها الموسيقى ، ليس مرة واحدة وإنما في موجات متلاحقة ، وعندما أصل إلى الذروة حيث لا ارتفاع بعد ذلك ، يبدأ الجذب إلى أسفل . . إنها ليست نقطة في الواقع وإنما حالة . . ليست شيئا مجسما . . هناك إحساس بالضوء ثم بالصوت . . ثم باللون . . كل ذلك في غموض ودون شكل واضح . .

يبدأ الضوء في الظهور ثم يزداد وضوحا . . ثم يظهر الرمل . . بقع كبيرة من الرمل المائل إلى الحمرة . . ثم تبدو هنا وهناك خطوط مستقيمة من الماء مثل القنوات .

قال "**سيلدون**" باهتمام :

- القنوات ! هذا مثير . . أرجو أن تستمر .

- ولكن هذه الأشياء لا تهم . . الأشياء الحقيقية هي التي لا أستطيع أن أراها وإنما أسمعها . . إنه صوت أشبه بحفيف الأجنحة . . كان شيئا رائعا لا يدانيه شيء آخر . .

ثم يجيء شيء آخر رائع . . لقد رأيتها . . رأيت الأجنحة !

- كيف كانت تلك الأجنحة . . أهي لرجال – ملائكة . أم طيور ؟

- لا أدري . . لم أستطع تمييزها ولكنني ميزت لونها لون الأجنحة . . إنه

لون رائع !

– لون الأجنحة .. أي شيء يشبه ؟

قال "هامر" بضيق :

– كيف أستطيع أن أخبرك ؟ كأنك تطلب مني أن أصف اللون الأزرق لشخص أعمي .. إنه لون لم تره من قبل .. لون الأجنحة !

– حسن .. وبعد ؟

– هذا هو كل ما لدي .. فيما عدا أنني كنت أحس بمزيد من الألم في كل مرة .. إنني مقتنع بأن جسمي لا يفارق السرير رغم أنني لا أحس بوجود جسمي .. لماذا أحس بكل ذلك الألم إذن ؟

هز "سيلدون" رأسه في صمت ، وقال "هامر" :

– إنني أريد النور والهواء والفضاء .. وفوق كل ذلك أريد مكانا أتنفس فيه! أريد الحرية !

– أي الأشياء كان لها معنى خاص لديك ؟

– هذا أسوأ ما في الأمر .. الراحة والرفاهية والمتعة ، ويبدو أن هذه كلها تجذب نحو الجانب المضاد للأجنحة ..

إنه صراع مستمر بينهما ولا أدري كيف ينتهي هذا الصراع ؟

كان "سيلدون" يستمع في صمت وهو يتساءل : أهي أحلام أم هلوسة ، أم هي أشياء حقيقية ؟ وكيف يحدث ذلك لرجل مادي مثل "هامر" ، وهو الرجل الذي يعشق الجسد وينكر الروح ؟ وقال الطبيب في النهاية :

– لا يوجد حل سوى أن تصبر لترى ما سيحدث .

– هذا يعني أنك لا تفهم الموقف .. هذا الصراع يمزقني .. إنني أتمزق بين...

– بين الجسم والروح ؟

عندما توقف عن الكلام قال "**سيلدون**" :

– ربما .. إنني لا أستطيع أن أتحرر ..

– لو أنني كنت مكانك لذهبت لأبحث عن ذلك الرجل .. عندما عاد "**سيلدون**" إلى بيته حدث نفسه قائلا : القنوات ؟ إنني لفي دهشة .

- 3 -

استيقظ "**هامر**" صباح اليوم التالي عازما على البحث عن الرجل مبتور الساقين ، كان يخشى أن يكون الرجل قد تبخر من الوجود ولكنه عثر عليه في الممر الضيق ، وكان قد ترك آلته الموسيقية والعكازين بجوار الحائط ، وانشغل في رسم لوحات بالطباشير الملون على أرض الشارع .. كان قد انتهى من رسم لوحة لأشجار تتمايل أمام بركة ، وكانت اللوحة تكاد تنبض بالحياة، فسأله "**هامر**" بانفعال :

– من أنت ؟ خبرني بحق السماء من أنت ؟

استمر الرجل في الرسم ، وبخطوط قوية سريعة رسم لوحة لرجل فوق صخرة يعزف على الناي .. رجل شديد الوسامة ورجلي ماعز ..

وبحركات سريعة رأى "**هامر**" الرجل في اللوحة لا يزال جالسا فوق الصخرة إلا أنه مبتور الساقين .

رفع الرسام رأسه قائلا :

– لقد كانتا شريرتين !

حملق "**هامر**" بدهشة في الوجه .. كان أجمل وأنقى بكثير من ذلك الموجود في اللوحة .. غادر "**هامر**" المكان بسرعة وهو يهمس لنفسه : هذا مستحيل .. إنني مجنون .. أحلم !

ذهب إلى الحديقة حيث تجلس بعض المربيات مع الأطفال ، بينما يسترخي على الحشائش بعض الرجال المتسكعين .. ورغم أنه كان يشعر بالاحتقار عندما يسمع كلمة "متسكع" إلا أنه حسد المتسكعين في تلك اللحظة، لأنهم يفترشون الأرض الخضراء تحت السماء ، وهم أحرار يتنفسون بدون قيود .. وومضت في ذهنه فكرة .. إنها الثروة التي تقيد حركاته ، كان يعتقد أن المال هو أقوى سلاح على وجه الأرض ، ولكنه أدرك الآن أن الثروة قيد يشد قدميه إلى الأرض .. وأنه يتمزق نتيجة الصراع الداخلي في نفسه بين قوتين : المال.. حب الثروة ، وبين ما يسميه : نداء الأجنحة ، وبينما كان الواحد يقاتل في ضراوة من أجل البقاء ، كان الآخر ينظر إلى تلك الحرب بازدراء ويطلق نداء .. صيحة ترن في أذنيه .. كان يسمعها بوضوح تقول له :

– لا تستطيع أن تتصالح معي ، لأنني أحلق عاليا فوق كل الأشياء .. إذا أردت أن تتبعني فلابد أن تتحرر من كافة القوى التي توقعك في العبودية .. لا أحد يستطيع أن يتبعني سوى الأحرار ..

وصاح "**هامر**" قائلا بصوت مسموع : كلا .. كلا لا أستطيع .

تطلع الناس في دهشة إلى ذلك الرجل الضخم الذي يحدث نفسه .. هكذا كانت التضحية مطلوبة منه ، التضحية بأعز شيء لديه .. التضحية بجزء من نفسه ، وتذكر الرجل مبتور الساقين .

- 4 -

فوجيء القس "**ديك بورو**" بصديقه المليونير في الإرسالية ، وسأله عما أتى به إلى ذلك المكان ، وكانت دهشة القس أشد عندما علم أن "**هامر**" قد جاء ليخبره بأنه كان مشغولا خلال الأسبوعين الماضيين بالاتصال بالمحامين لاتخاذ

الإجراءات اللازمة للتنازل عن كل ثروته ، وإقامة "بورو" وصيا عليها ينفقها في وجوه الخير التي يشير إليها في مواعظه ، وسأله القس بدهشة :

– كل ثروتك ؟ ألم تبق لنفسك شيئا ؟

ضحك "هامر" وهو يقول :

– استبقيت لنفسي بنسين !

انسحب "هامر" تاركا القس في حيرته ، ومضى في طريقه إلى خارج الإرسالية وهو يشعر براحة نفسية ، وهمس لنفسه : أصبحت لا أملك شيئا!

شعر الآن بالخوف .. الخوف من الفقر والجوع والبرد ..

ولكنه شعر براحة الضمير .. والتحرر من كل القيود التي كانت تجثم على أنفاسه .

كانت رياح الخريف الباردة تبعث البرودة في جسده ..

وأحس "هامر" بالجوع ، فقد نسي أن يأكل شيئا قبل خروجه .. وجد "هامر" نفسه أمام إحدى محطات الأنفاق ، وقرر أن يستخدم البنسين اللذين في جيبه ليستقل القطار إلى الحديقة التي كان يسترخي فيها المتسكعون .. سوف يهبط إلى النفق المظلم ليخرج من الجانب الآخر إلى النور والخضرة ..

حمله المصعد بسرعة إلى باطن الأرض .. كان الهواء ثقيلا ، ووقف في أقصى طرف من رصيف المحطة بعيدا عن الناس ، ولم يكن بالقرب منه سوى صبي يجلس على مقعد في فتور ، وسمع صوت القطار يدوي وهو يقترب داخل النفق من المحطة ، ثم حدث ما حدث في سرعة البرق .. نهض الصبي استعدادا لركوب القطار ، ولكن قدمه زلت وسقط فوق القضبان ، تزاحمت مئات الأفكار في عقل "هامر" .. تذكر كومة اللحم والثياب الرثة تحت عجلات سيارة النقل ، وكلمات الرجل الذي قال له :

– لا تلق اللوم على نفسك .. لم يكن باستطاعتك أن تفعل شيئا من أجله..

كانت أمامه ثانية واحدة يقرر فيها ما يفعله ، وكان يعرف أن الخوف في أعماقه لم يخفت .. كان يشعر برعب قاتل ..

هل يوجد أدنى أمل ؟

تطلع المشاهدون في دهشة شديدة إلى المشهد الغريب الذي يقع أمام أبصارهم .. غلام يسقط فوق القضبان ، ورجل يلقي بنفسه في سرعة البرق لكي ينقذ الصبي ..

رفع "**هامر**" بسرعة الصبي بين ذراعيه وألقاه فوق الرصيف .. كان القطار يندفع نحو المحطة ولا أمل للسائق في التوقف في الوقت المناسب .. كان بدن "**هامر**" يرتعد ، ولكنه كان يطيع طاعة عمياء صوت الروح الغريبة التي تناديه طالبة منه التضحية ..

وفجأة سكن الرعب الذي يسري في جسمه .. لم يعد العالم المادي يقيد حركته.. لقد تحرر من كل القيود ..

تحرر "**هامر**" من كل القيود التي كانت تشد قدميه وتعطيه الشعور بالعبودية والأسر .. وخيل إليه في لحظة خاطفة أنه يسمع روحا مبتهجة تناديه .. ثم سمع الصوت يزداد وضوحا واقترابا .. يغطي على كل الأصوات الأخرى .. كان صوت حفيف الأجنحة .. تلتف حوله وتحيطه بإحساس من الراحة والسكينة...

*****

الثعلب

- 1 -

هبطت السيدة الأنيقة من السيارة ونقدت السائق أجره، ثم سارت بضع خطوات لتصل إلى البيت الذي تقصده. كانت تمشي ببطء ورشاقة، مشية المرأة التي تشعر بفتنتها وجاذبيتها.. وتود أن يرى الجميع كم هي أنيقة وجميلة وفاتنة. كانت في نحو الثلاثين من عمرها.. طويلة القامة، بارزة الصدر، نحيلة الخصر، لها وجه مشرق.. وعينان زرقاوان يتألق فيهما بريق الذكاء والحيوية. وكان البيت الذي دخلته حديث البناء، ولكن مصعده كان معطلاً، فارتقت درج السلم ببطء، ووقفت أمام باب في الطابق الخامس، وضغطت زر الجرس وانتظرت.

ولما لم يفتح الباب، ضغطت الزر مرة أخرى.. بمزيد من الإلحاح.. وانتظرت.. ولكن الباب لم يفتح، ولم يصدر من داخل الشقة أي صوت يشعر بوجود أحد فيها. فهزت السيدة الفاتنة رأسها بمزيج من الدهشة والضجر.. ثم دقت الباب بقبضة يدها وصاحت:

– ألا يوجد أحد هنا؟

– وأصاخت السمع.. ولكن لا حركة.. ولا جواب، واستدارت لتعود من حيث أتت ثم ترددت وعادت إلى الباب ودفعته بيدها ففتح. وقفت بعتبة الباب وصاحت:

– "**باتريشيا**" .. "**مايكل**" .. أين أنتما؟

ولكنها لم تسمع جوابًا، فدخلت وأغلقت الباب.

كانت تلك شقة صغيرة من الطراز الحديث، تتألف من صالة فسيحة في صدرها نافذة عريضة تبدو منها أسطح البيوت المجاورة، وإلى يسارها باب يؤدي إلى مطبخ صغير، وإلى يمينها باب يؤدي إلى الشرفة، وبابان آخران يؤديان إلى غرفة النوم والحمام. طافت السيدة بأرجاء المكان، وأدهشها أنها لم تجد أحداً.. فخلعت قفازيها ووضعتهما في حقيبتها، ووضعت الحقيبة على مقعد في الصالة.. وخلعت شملة الفرو التي كانت تلف بها عنقها ووضعتها على مسند المقعد، ومدت يدها إلى صندوق سجائر مصنوع من الخشب ومرصع بالصدف كان فوق المائدة ففتحته، ولكنها وجدته فارغًا، فأخرجت علبة سجائر من حقيبتها وتناولت لفافة أشعلتها بولاعة ذهبية، وراحت تدخن وتختال ببطء في الصالة.. ثم وقفت أمام عصفور في قفص في أحد الأركان وراحت تتأمله في فضول. وبعد قليل نظرت في ساعتها، وهزت رأسها في عجب وتمتمت قائلة:

– هذا عجيب!! أي تصرف هذا!! وعندما همت بالانصراف، سمعت حركة في الخارج، كما لو كان هناك من يعبث بقفل الباب، ثم صوتًا يهتف في دهشة:

– عجبًا.. إنه مفتوح.

ودخلت سيدة في الحلقة الثالثة من عمرها، وبيدها المفتاح الذي كانت تعبث به في القفل، وما إن وقع بصرها على المرأة الأنيقة حتى صاحت:

– "ساندرا".. أنت هنا؟

– "جنيفر"!! إنني لم أرك منذ دهر.

– ماذا جاء بك يا "ساندرا"؟

– لقد بكرت بالحضور مثلك.. إنه لأمر محرج حقًّا أن يذهب الإنسان إلى حفل قبل موعده المحدد.

– عن أي حفل تتكلمين يا "**ساندرا**"؟! حفل من؟

– إنه ليس حفلا بالمعنى المفهوم.. إنه مجرد سهرة لتناول الشراب..

فبدت الدهشة على وجه "**جنيفر**" وسألت:

– هل دعيت لتناول الشراب هنا اليوم؟

– ولِمَ لا؟ إنني دعيت مثلما دعيت أنت. فقالت "**جنيفر**" وهي تشيح بوجهها:

– ليس تمامًا..

– ماذا تعنين؟ هل ثمة ما يمنع "**باتريشيا تورانس**" وزوجها من أن يدعواني لتناول الشراب؟

– كلا.. لا مانع إطلاقًا.. إذا كانا في "**إنجلترا**".

فأومأت "**جنيفر**" برأسها علامة الإيجاب، وقالت وهي تضع حقيبتها على المائدة وتجلس على أحد المقاعد:

– إنهما في "**فرنسا**".

ففتحت "**ساندرا**" عينيها الساحرتين في دهشة وهتفت قائلة:

– ولكن "**باتريشيا**" اتصلت بي تليفونيًّا يوم الثلاثاء.. أمس الأول.

فقالت "**جنيفر**" ساخرة:

– أحقًّا؟

– نعم.

– كلا يا عزيزتي.. كان يحسن بك أن تقولي كلامًا معقولاً.. إن

الكذب لا يقف طويلاً على قدميه.

– ماذا تعنين؟ فقالت "**جنيفر**" وهي تبتسم بخبث:

– أكبر الظن أنك أقنعت "**باتريشيا**" بأن تعيرك مفتاح الشقة، وأنك ما جئت إلى هنا الآن إلا لمقابلة أحد الأشخاص.. فمن هو؟ هل ستذكرين لي اسمه أم يجب أن أخمنه؟

– ما هذا الهذيان يا "**جنيفر**"؟.. قلت لك إن "**باتريشيا**" اتصلت بي تليفونيًّا ودعتني إلى الحضور. فقالت "**جنيفر**" وهي تتناول حقيبتها:

– كلا، كلا يا عزيزتي.. دعك من هذا الكلام.. وفكري في مبرر آخر أقرب إلى العقل والمنطق..

ثم أرسلت بصرها نحو قفص العصفور واستطردت قائلة: «قولي مثلاً إنها طلبت إليك أن تطعمي العصفور وتعني به في غيابها».

– الواقع أنها حدثتني عن العصفور. فقالت "**جنيفر**" ضاحكة:

– ولكنها اتفقت معي على أن أطعمه وأرعاه. ثم أخرجت من حقيبتها كيسًا صغيرًا من الورق وقالت:

– لابد أن ذاكرة "**باتريشيا**" قد أصابها الوهن لكي تكلفنا معًا بالشيء نفسه.. فقالت "**ساندرا**" وهي تتناول حقيبتها وشملتها:

– الحق يا "**جنيفر**" أنك..

– لا تغضبي فما أردت إلا معابثتك.. الحق أنني سعيدة بلقائك بعد هذا الوقت الطويل.. ولكن أصدقيني، من هو الشخص السعيد الذي جئت لمقابلته؟ واطمئني فإنني أعرف كيف أكتم السر. فقالت "**ساندرا**" وهي تطفئ سيجارتها:

- الحق أنك لا تطاقين يا "**جنيفر**".

- لا تفقدي أعصابك يا جميلتي.. إن ما يدهشني حقًّا هو أن تقدم لك "**باتريشيا**" هذه الخدمة وتترك لك شقتها.. إن ما أعرفه عنها أنها لا تجامل أحدًا.. وأكبر الظن أنها استوردت هذه الصفة من الخارج فهي كثيرة الأسفار كما تعلمين، وقد أقامت فترات طويلة في مناطق نائية بالمستعمرات البريطانية.

قالت ذلك وجثت على الأرض بجوار "**ساندرا**" واستطردت قائلة بلهجة فيها من الخبث أكثر مما فيها من الدعابة:

- تكلمي يا جميلتي.. وأخبريني.. من هو الطرف الثاني في مغامرتك الجديدة؟

- أؤكد لك أنه ليست لي أية مغامرة مع أي إنسان.

- إذن ماذا جاء بك إلى شقة آل "**تورانس**" بينما هم في "**فرنسا**"؟ أتعتقدين أنني من الغفلة بحيث أصدق مزاعمك عن سهرة تناول الشراب؟

- لابد أنني لم أسمع جيدا.. أو أن تكون الخطوط التليفونية قد تشابكت. فهذا أمر كثير الحدوث.. ومن المحتمل أن تكون "**باتريشيا**" قد أخطأت وأن يكون موعد السهرة في الأسبوع القادم.. ولكنني أؤكد لك مرة أخرى أنني جئت وأنا أتوقع أن أجد هنا حفلاً وأصدقاء وصديقات.

- أحقًّا إنك لا تنتظرين مقابلة أحد هنا؟ فاستدارت "**ساندرا**" لتواجه صديقتها وقالت:

- الشخص الوحيد الذي أنتظر لقاءه هنا هو "**جون**".

- زوجك؟

– نعم، فقد قال إنه سيلحق بي هنا بمجرد فراغه من عمله.

– إنه إنسان مهذب ولطيف.. أليس كذلك؟

– ذلك ما أعتقده.

– ثم إنه هادئ، وديع، لا يسيء الظن بأحد.. وأهم من ذلك كله.. أنه يحبك حبا يصل إلى حد العشق.. أليس كذلك؟ فأجابت "**ساندرا**" في إيجاز:

– إنه لا يكرهني..

– يا للتواضع! وهل بين الرجال من يكرهك؟ فقالت "**ساندرا**" لتغير موضوع الحديث:

– أليس من الأفضل أن تعجلي بإطعام العصفور إذا كان ذلك حقًّا ما جئت من أجله؟ فقالت "**جنيفر**" وهي تنهض:

– "**ساندرا**".. هل تريدين أن تقولي إن إطعام العصفور ليس الغرض الحقيقي من قدومي، وإنني جئت لمقابلة شخص ما؟

– كلا بالتأكيد.. إن ذلك لم يخطر لي ببال. وكان في صدر الصالة صندوق خشبي كبير، فجلست "**جنيفر**" عليه وفتحت باب قفص العصفور، وتناولت طبقًا صغيرًا كان بداخله، وأفرغت محتويات كيس الورق، ثم أعادته إلى مكانه في القفص، قالت بطريقتها الخبيثة:

– إنني لا أفهم سر هذه الرحلات التي تقوم بها "**باتريشيا**" وزوجها بين آن وآخر.. إنهما يعودان دائمًا بعدد كبير من التحف والتذكارات الغريبة.. وصدقيني.. إنني سرقت مرة منفضة سجائر من فندق "**كارلتون**" بمدينة "**كان**" الفرنسية.. ولم أغفر ذلك قط لنفسي، ولكن لماذا أحضرا عصفورا

واحدا ولم يحضرا عصفورين؟ انظري إلى الطائر المسكين.. إنه ينظر حوله في حزن باحثًا عن أليف.. يا إلهي! لقد شرب آخر نقطة من الماء. وفتحت باب القفص وأخرجت صحفة الماء وانطلقت بها إلى المطبخ. أما "**ساندرا**"، فإنها أشعلت لفافة تبغ.. وسارت إلى الشرفة ببطء وراحت تطل منها. وملأت "**جنيفر**" الصحفة بالماء ووضعتها في القفص، وحانت منها التفاتة.. ورأت "**ساندرا**" في الشرفة. فصاحت بها:

– ماذا تفعلين أيتها العزيزة؟؟ هل تتوقعين عودة "**باتريشيا**" وزوجها؟ قلت لك إنهما في "**فرنسا**".

ثم تنهدت وأردفت: هانذا قد فرغت من مهمة هذا اليوم، وسأذهب الآن.. إلى اللقاء يا "**ساندرا**". فعادت "**ساندرا**" من الشرفة وقالت وهي تتناول حقيبتها:

– لا فائدة من بقائي هنا سأذهب معك؟

– وزوجك؟ إنه سيأتي. وفي هذه اللحظة، دق جرس الباب الخارجي، فصاحت "**جنيفر**":

– ها هو قد جاء..

وهرولت إلى الباب وفتحته، لتجد نفسها وجها لوجه أمام رجل في نحو الثامنة والثلاثين من عمره.. أنيق الثياب، أرستقراطي المظهر، سمح الوجه، له عينان مرحتان.. قال وهو يخلع قبعته:

– طاب يومك يا سيدتي. ولمحته "**ساندرا**" وسمعت صوته، وبدت عليها الدهشة. ورآها الرجل بدوره وهتف:

– مرحبًا "**ساندرا**".

– مرحبًا "**ديفيد**".. ووقفت "**جنيفر**" ترقبهما وفي عينيها نظرة خبيثة فقالت "**ساندرا**" تحدثها:

– دعيني أقدم لك السيد "**فورستر**".. "**ديفيد فورستر**". والتفتت إلى "**ديفيد**" وقالت: «هذه السيدة "**برايس**".. "**جنيفر برايس**"..» فشد "**ديفيد**" على يد "**جنيفر**" وقالت "**ساندرا**" بسرعة:

– يبدو أنك أخطأت اليوم مثلي يا "**ديفيد**"، فقد قالت لي "**جنيفر**" منذ لحظة أن "**باتريشيا**" وزوجها سافرا إلى "**فرنسا**". فقال "**ديفيد**" وهو ينظر إلى "**جنيفر**" ويبتسم:

– أحقًّا؟ معنى هذا أننا نحن الثلاثة قد خدعنا. فقالت "**جنيفر**" وهي تشير إلى القفص:

– أنا جئت فقط لكي أطعم العصفور. فنظر "**ديفيد**" إلى القفص والعصفور وقال:

– ما أجمله!! فقالت "**جنيفر**" بسرعة:

– يجب أن أذهب الآن.. لقد أسعدني لقاؤك يا سيد "**فورستر**".. إلى اللقاء يا "**ساندرا**".

وانصرفت.. وأغلقت الباب وراءها. فقال "**ديفيد**" وهو يضع قبعته على أحد المقاعد:

– من هي بحق السماء؟

– "**جنيفر برايس**".

– هل هي صديقتك؟ فهزت كتفها وأجابت:

– لا أستطيع أن أقول ذلك.

– ماذا كانت تفعل هنا؟ فقالت "**ساندرا**" وهي تطفئ سيجارتها:

– ألم تسمع ما قالت؟ إنها جاءت لتطعم العصفور.. وأنت لماذا جئت هنا؟

– جئت؛ لكي أراك أيتها الحبيبة.

– لكي تراني؟! فقال وهو يجيل البصر حوله:

– بهذه المناسبة.. شقة من هذه؟

– شقة "**مايكل**".. و"**باتريشيا تورانس**".

– آه! إنها شقة جميلة.. هل ينامان على هذه الأريكة؟

– لا أعلم، ولكن توجد غرفة نوم هناك. وأشارت نحو غرفة النوم، فقال وهو يحتويها بين ساعديه:

– لقد انقضى دهر منذ التقينا آخر مرة.. قبلها بحرارة وقالت:

– كان آخر لقاء لنا منذ أسبوع.

– نعم.. منذ أسبوع..أطول أسبوع في حياتي.

– ليتنا نستطيع اللقاء علنا!!

– سيحدث ذلك قريباً.. فاطمئني..

– إنني سئمت التخطيط والتدبير واللقاءات السرية الخاطفة.

– كل ذلك سيتغير قريباً..ثم تركها فجأة وقال وعلى وجهه دلائل الهم والقلق:

– هل رأيت عيني المرأة التي كانت هنا منذ لحظة؟ كانت فيهما نظرة ارتياب واضحة.. تُرى ماذا ظنت بنا؟

– لا أعلم.. ولكنها امرأة سوء..

– هل تعتقدين أنها ستتكلم عنا أو تشي بنا؟ يا لسوء الحظ! لقد كنا حتى الآن في شدة اليقظة والحذر.

– لقد قلت لها إنني أنتظر قدوم زوجي.

– وقد صدقتك؟

– كان من الممكن أن تصدقني لولا حضورك.

– يا لسوء الحظ!!

– ثم راح يذرع أرض المكان في قلق– ويداه خلف ظهره وأخيراً قال:

– ولكنك أحسنت صنعًا إذ تظاهرت بالدهشة حين وقع بصرك عليّ.

– إنني دهشت فعلاً.

– كيف ذلك وأنت التي طلبت إليّ أن أحضر؟ فبهتت وقالت:

– أنا لم أطلب إليك الحضور.

– ولكني تلقيت مكالمة تليفونية.

– مكالمة تليفونية؟! ما فحواها؟

قال المتكلم: هل لك أن تتفضل بمقابلة السيدة "**ساندرا جراي**" في الساعة السادسة والنصف بالمنزل رقم 513 بشارع "**ألبيري**"؟.. أليس هذا شارع "**ألبيري**"؟

– بلى.

– إذن؟ فجمدت "**ساندرا**" في مكانها، وشرد بصرها لحظة.. وقالت فجأة:

– إن في الأمر شيئًا مريبًا وغريبًا يا "**ديفيد**".. فقد اتصلت بي "**باتريشيا تورانس**" ودعتني إلى الحضور لقضاء السهرة وتناول الشراب.

– لنبدأ من البداية.. من هي "**باتريشيا**" أولاً؟

– إنها زوجة "**مايكل تورانس**" الذي يعمل في منظمة "**اليونسكو**"، وقد عادا مؤخرًا من "**إفريقيا**" و"**الشرق الأوسط**". فقال "**ديفيد**" وهو ينظر إلى قطع الآثاث والتحف:

– هذا واضح.. حسنًا .. اتصلت بك "**باتريشيا**" ودعتك إلى الحضور لقضاء السهرة وتناول الشراب.. فلبيت الدعوة، وحضرت، ولكن يبدو أنك أخطأت اليوم؛ لأنني لا أرى أي استعداد لإقامة حفل.. ثم خطر له خاطر فجائي، فصاح:

– ولكن كيف دخلت؟

– دققت الجرس ثم دفعت الباب ففتح.. والظاهر أنه لم يكن مغلقًا جيدًا.

– هذا غريب حقًّا.

– غريب جدًّا.. وأغرب منه أن "**باتريشيا**" وزوجها سافرا إلى "**فرنسا**" يوم السبت الماضي.. فكيف أمكنها أن تتصل بي تليفونيًّا أمس الأول؟

– هل اتصلت بك شخصيًّا.. أم كلفت شخصًا آخر بالاتصال بك؟

– شخصيًّا!

– هل تحققت من صوتها؟

– الواقع أن صلتي بها ليست وثيقة، وقد سمعتها تقول في بداية الحديث: "**باتريشيا تورانس**" تتكلم، فلم أشك في أنها ليست هي..

فقال "**ديفيد**" بقلق:

– إن وراء كل هذا شيئًا لا أفهمه..

– نعم، هناك شيء يثير الحيرة ويبعث على القلق.

– ولكن ما الهدف؟ ما معنى أن يتصل بك شخص ويزعم أنه "**باتريشيا**".. ويدعوك إلى القدوم إلى هنا؟ وما معنى أن يتصل بي أحد الأشخاص ويبلغني رسالة يزعم أنها منك، ويدعوني إلى مقابلتك هنا؟:.. ما معنى كل هذا؟ فقالت "**ساندرا**":

– ألا يحتمل أن.. وصمتت.. ولم تتم عبارتها.. فقال "**ديفيد**" وهو يتفرس في وجهها:

– ماذا؟ يبدو أن لديك تفسيرًا لهذه الألغاز.. تكلمي. فقالت ببطء:

– ألا يحتمل أن يكون "**جون**" هو المدبر لكل هذا؟ فصاح في دهشة:

– "**جون**"؟! زوجك؟!

– لقد خيل إليّ أنه بدأ يرتاب في أمرنا. فقال بحدة:

– ولكنك لم تخبريني؟

– كنت أظن أنه مجرد وهم.

– "**جون**"؟ ولكن ما الصلة بينه وبين "**تورانس**" وزوجته؟ هل يمكن أن يكون قد أقنع "**باتريشيا**" بالاتصال بك ودعوتك إلى الحضور إلى هنا؟ ففكرت "**ساندرا**" قليلاً ثم قالت:

– هذا مستحيل.. إنه يكاد لا يعرفها. فقال "**ديفيد**" وهو لا يزال يضرب أخماسًا بأسداس:

– لعله تمكن من استعارة هذه الشقة ثم أوعز إلى إحدى النساء أن تتصل بك وتزعم أنها "**باتريشيا**".. فصاحت "**ساندرا**":

– ولكن لماذا؟ لماذا؟!

– ألا تفهمين لماذا؟ لكي يضبطنا في حالة تلبس.

– آه!

– ومن يدري.. فلعله أخفى بعض رجال الشرطة السريين في الحمام لهذا الغرض. وأسرع إلى الحمام وفتحه وأطل فيه، ثم عاد وقال:

– إنه حمام صغير.. وليس به أحد. ثم أجال البصر حوله واستطرد قائلاً: الشقة كلها صغيرة.. ومكشوفة، وليس فيها مكان يصلح للاختباء، أكبر الظن أنه يريد أن يفاجئنا بنفسه ونحن في وضع مريب.

– أليس من الوحشية والنذالة أن يقدم على أمر كهذا؟ فقال "**ديفيد**" ساخراً:

– لا تستنكري سلوكه أيتها الحبيبة.. فإنه زوج ومن حقه أن يغضب ويثور إذا علم أن لزوجته عشيقًا، ثم جلس على الأريكة وقال:

– منذ متى بدأت حياتكما الزوجية؟

– منذ عامين.

– وهل لا يزال يغار عليك؟ فنظرت إليه بجفاء وقالت:

– ولِم لا؟ أنت تعلم أنه يغار عليَّ. ثم أردفت بعد قليل: « ولكنه ساذج إلى أبعد الحدود، ويستطيع أي إنسان أن يخدعه.. وقد كنت على يقين حتى الفترة الأخيرة من أنه لا يرتاب فيّ ولا يعرف شيئًا عنا». فقال "**ديفيد**" :

– لابد أن صديقًا كريمًا رآنا معا فأنهى إليه النبأ السعيد، على الرغم من أنني واثق بأننا كنا دائمًا في منتهى الحذر. فقالت "**ساندرا**" في مرارة:

– مهما يكن الحرص والحذر.. فهناك دائمًا من يعلم.

– هذا صحيح، ولذلك أعتقد أن خير ما يمكن عمله الآن، هو أن نغادر هذا البيت بسرعة.. على أن نلتقي غدًا في المكان المألوف..ولكن يجب أن تتحققي بأن أحدًا لا يتعقبك، والآن.. اجمعي حوائجك وهلمي بنا.. فإنني لا أريد أن يفاجئنا أحد هنا. قال ذلك وتناول قبعته.. وفي هذه اللحظة، دق جرس الباب.

- 2 -

جمد "**ديفيد**" في مكانه.. ونظر إلى "**ساندرا**" في هلع.. ولكنها لم تكن أقل منه حيرة وهلعا.

قالت بصوت خافت:

– تُرى من القادم؟

– صه، وأعاد قبعته إلى مكانها على المقعد، وأردف قائلاً: «إذا كان القادم هو "**جون**"، ولم يسمع أية حركة أو صوت، فإنه سينصرف». ودق الجرس مرة أخرى فقالت "**ساندرا**":

– إن الباب مفتوح.

– آه! ليتني أوصدته بالمزلاج.. اجلسي بحق السماء، وتظاهري بالهدوء وعدم الاكتراث.. إليك لفافة تبغ.

وقدم لها لفافة، وأشعلها.. وفتح الباب.. ودخل شاب في نحو الثامنة والعشرين من عمره، يرتدي ثوبًا على أحدث طراز، ويضع في يديه قفازًا، كان وسيما، ولا يعيبه سوى ضيق عينيه، والنظرة الثعلبية الخبيثة التي تتألق

فيهما. وما إن وقع عليه نظر "**ساندرا**" حتى هتفت قائلة:

- "**أليكس**"!! فقال الشاب بثبات:

- مرحبًا "**ساندرا**".. مرحبًا "**ديفيد**".. ثم نظر حوله وأردف قائلاً:

- يبدو أننا جئنا إلى الحفل في وقت مبكر. فسري عن "**ساندرا**" وتنفست الصعداء وقالت:

- إذن فهناك حفل؟ لقد كنا نتساءل عن ذلك منذ لحظة، وخيل إلينا أننا أخطأنا المكان والزمان؛ لأننا لم نر ما يشير إلى وجود حفل. فقال "**أليكس**" وهو ينظر حوله:

- هذا صحيح.. إنني لا أرى طعامًا أو شرابًا.. أو أزهارا.. ألا يحتمل أن يكون "**مايكل**" و"**باتريشيا**" قد أقاما الحفل في مكان آخر.

- الحق أنه أمر محير!

- هل جئتما منذ وقت طويل؟ فسارعت "**ساندرا**" إلى الإجابة، وقالت:

- إنني جئت منذ خمس دقائق تقريبًا.. وجاء "**ديفيد**" بعد ذلك. فقال "**أليكس**" وهو يضع قبعته على الأريكة:

- ألم تحضرا معا؟ فأجاب "**ديفيد**" و"**ساندرا**" في الوقت نفسه:

- لا، لم نحضر معا. وساد صمت قصير، ثم قالت "**ساندرا**":

- هل اتصلت "**باتريشيا**" بك؟

- كلا.. الواقع أن "**مايكل**" هو الذي اتصل بي.. إنه إنسان غريب الأطوار، وغير واضح، وصلتي به ليست وثيقة.. وكل ما قاله إنه طلب إليّ في أدب أن أحضر إلى هنا في منتصف السابعة مساء لتناول بعض الشراب.. وهأنذا قد جئت. فقال "**ديفيد**" وهو يصعده بعينه ويتأمل ثيابه:

– إن من يراك يخيل إليه أنك مدعو إلى حفل رسمي في قصر الملكة.

– الحقيقة أنني كنت في حفل موسيقي، وقد تبادر إلى ذهني أنني سأجد الجميع هنا في ثياب السهرة.

– هل قال لك "**مايكل**" ذلك؟

– كلا.. كلا.. إنه قال فقط إنها سهرة لتناول الشراب، وذلك أسلوب يستخدم في الدعوة لكل أنواع الحفلات.. أنا واثق بأنه كان يريد الاحتفال بمناسبة ما.

وكان يتكلم وهو يسير ببطء نحو دولاب في أحد الأركان، ثم فتح الدولاب وقال:

– أرى هنا زجاجة شراب.. شيء خير من لا شيء، وأخرج الزجاجة. فقال "**ديفيد**":

– إنني أستطيع أن أخمن ما حدث.. لقد دعانا آل "**تورانس**" إلى حفل، ولكنهم أقاموه في مكان آخر، وغاب عنهم أن يخطرونا بذلك المكان، ولعلهم ظنوا أننا نعرفه. فقال "**أليكس**" وهو يضع الزجاجة والأقداح على المائدة:

– إنه لأمر بالغ الغرابة.. أعني أنه أمر غريب حقًّا أن ينسونا نحن الثلاثة. ثم ملأ الأقداح بالشراب، وقدم قدحًا لكل من "**ساندرا**" و"**ديفيد**"، وقال وهو يرفع قدحه في يده: «نخب الأصدقاء العابثين. نخب آل "**تورانس**"». فقال "**ديفيد**" وهو يرفع قدحه:

– لنشرب نخب آل "**تورانس**". وشربوا... وقالت "**ساندرا**" وهي تضع قدحها على المائدة:

- ذكرت صديقة لي، هي "**جنيفر برايس**"، أن "**مايكل تورانس**" وزوجته قد سافرا إلى "**فرنسا**" فلم أصدقها، ولكني أعتقد الآن أنها قالت الحقيقة. فهتف "**أليكس**":

- "**جنيفر برايس**"؟ هل كانت هنا؟ فقالت "**ساندرا**":

- إنها جاءت لتطعم العصفور.. فمشى "**أليكس**" إلى القفص، ونظر إلى العصفور ثم إلى الصندوق الأسود الكبير الموضوع تحت النافذة وعاد أدراجه وهو يقول:

- كل هذا يثير الفضول.. دعونا نستعرض ما حدث لعلنا نصل إلى الحقيقة.. إذا كان آل "**تورانس**" قد سافروا إلى "**فرنسا**"، فلابد أن شخصاً آخر لا نعرفه هو الذي اتصل بنا وطلب إلينا الحضور، ولكن لماذا؟

ونظر إلى "**ديفيد**" واستطرد قائلاً:

- أليس الأمر مثيراً؟.. إنه أشبه بالألغاز التي نقرأها في الروايات البوليسية.. ومن يدري.. فلعلهم تعمدوا أن يضعونا أمام لغز؛ لكي نحاول أن نجد له حلاً، أو لعلهم تركوا الأمر لذكائنا وتركوا لنا من الآثار والأدلة ما يكفي لإرشادنا إلى المكان الآخر الذي أقاموا فيه الحفل.. نعم، لابد أن يكون الأمر كذلك.. ولكن ما أغرب التحف التي يقتنيها آل "**تورانس**"!!

وتناول إناء قهوة من فوق رف خلف الأريكة وقال وهو يتأمله:

- أظن أنهم جاءوا بهذا الإناء من بلد شرقي.. فقالت "**ساندرا**":

- إن منظره قمين ومخيف.. وهذا النتوء الذي ينسكب منه السائل يذكرني بمنقار صقر شرس.

– أحسنت الوصف يا "**ساندرا**" .. نعم، إنه يشبه منقار صقر شرس.. الإناء كله يفتقر إلى الجمال.. بل الشقة كلها.. انظري.. إنها تكاد تخلو إلا من الضروريات.. مجرد جدر ملساء، وأهم الضروريات.. ما أبشع أن يجد الإنسان نفسه حبيسًا في مكان كهذا! فقال "**ديفيد**" :

– على العكس يا "**أليكس**" .. إنها شقة عصرية جميلة.. وليس فيها ما يوحي بهذه الخيالات المزعجة.

– إنك إنسان مرح ولا تميل إلى التشاؤم يا "**ديفيد**" انظر إلى هذا..

– أعتقد أن هذا ما يسمونه في "**دمشق**" (صندوق العروس)..

– ثم هذا.. وتناول خنجرًا مقوسًا كان معلقًا على الجدار واستطرد قائلاً:

– هذا فيما أعتقد خنجر "**كردي**" .. إنه أفضل سلاح لقتل الزوجة الخائنة.. ولكن مقبضه جميل.. أليس كذلك يا "**ديفيد**" .. خذه وتأمله جيدا هل أنت خائف؟ إنه لن يعضك.

فتناول "**ديفيد**" الخنجر ونظر إليه في شيء من الرهبة ثم رده إلى "**أليكس**" وهو يقول:

– إن المقبض جميل حقًا.

– بل إنه قطعة فنية.. أليس كذلك يا "**ساندرا**" ؟ فتناولت "**ساندرا**" الخنجر وتأملته بدورها وقالت:

–بلى.. إنه جميل. وأعادته إليه، فقال وهو يقترب من الشرفة:

– مازلت أقول إن هذه الشقة موحشة وكئيبة.. وأطل من الشرفة واستطرد قائلاً: «أي طابق هذا؟» أظنه الطابق الخامس.. إنه مرتفع مثل ربوة

من ربى "**كورنوول**" .. وصالح تماماً للانتحار يا إلهي..!! لقد سقط الخنجر من يدي.. سقط في الشارع.. من حسن الحظ أنه لم يسقط على أحد المارة.. يجب أن أذهب لآتي به.. وإذا وجدت بواب العمارة فإنني... فقاطعته "**ساندرا**" :

– لا أظن أن للعمارة بوابًا.

– ولكن هناك مكتبا بجوار الباب الرئيسي.. سأستفسر هناك عن آل "**تورانس**" .. هل رحلوا.. أم تركوا الشقة لمستأجر آخر. واختطف قبعته وأسرع نحو الباب، فقال "**ديفيد**" :

– لعل من الأفضل أن نرحل نحن أيضًا.

– لماذا؟ ابقيا هنا، وأكملا شرابكما، ولن أغيب عنكما طويلاً. وانصرف، وأغلق الباب فقال "**ديفيد**" وهو يكاد ينشق غيظًا:

– لاشك في أن هذا الوغد سيعود مرة أخرى.. إن له أقذر لسان في "**لندن**". فقالت "**ساندرا**" وهي تضع قدحها على المائدة:

– هل تظنه دهش حين وجدنا هنا معا؟

– أعتقد ذلك. .وأكبر الظن أنه سيطوف بأرجاء "**لندن**" ؛ ليقول للناس إن آل "**تورانس**" قد أعارونا شقتهم لكي نلتقي فيها خفية.

– إذن يحسن بنا أن ننصرف.

– كلا.. صبرًا لحظة.. إذا ذهبنا معًا، ظن بنا الناس الظنون ولكن حدثيني.. أليس "**أليكس**" أحد أصدقاء "**جون**"؟ فأجابت "**ساندرا**" :

– إن الصلة بينهما سطحية.. والشخص الذي أحبه "**أليكس**" وأخلص له هو "**باري**" زوجي الأول.. وقد كان حزنه شديداً عندما مات "**باري**".

– تعنين عندما سقط من فوق ربوة في "**كورنوول**"؟

– نعم... وصمتت لحظة ثم قالت: «إن الضجة التي أثارها "**أليكس**" حول موت "**باري**" كادت توحي إلى الناس أنني التي ألقيت به من فوق الربوة». فقال "**ديفيد**" وهو يتفرس في وجهها:

– وهل فعلت ذلك حقًّا؟

– ماذا تعني؟ فأجاب وهو يشيح بوجهه:

– لا شيء. فقالت:

– أنا نفسي كدت أن أسقط معه. ومرت بجسدها رعدة واستطردت:

– كان الموقف رهيبًا.. وكانت الربوة كلها تتفتت وتنهار عقب الأمطار الغزيرة التي سقطت أثناء الليل.

فاطرق "**ديفيد**" رأسه مفكرًا وقال:

– إذن "**أليكس**" لا يحبك كثيرًا لهذا السبب.

– إنه رجل شاذ.. يكره النساء بصفة عامة.

– ولكنه يكرهك بصفة خاصة.. أليس كذلك؟؟

– ماذا تريد أن تقول؟ فأجاب وهو لايزال مستغرقًا في التفكير:

– لقد خطر لي أن "**أليكس**" ربما كان هو المدبر لكل هذا..

– ولكن لماذا؟

– ربما كانت خطته أن يجمع بيننا هنا، ثم يتصل بـ"**جون**" لكي يفاجئنا معا.

– إن ذلك يبعث على السخرية، ولكن إذا كان "**أليكس**" قد فعل ذلك فلماذا جاء بنفسه إلى هنا؟ إن مجيئه خليق بأن يفسد الخطة كلها.

– هذا صحيح. ثم أردف وهو يتناول قبعته:

– على كل حال، يحسن بنا أن ننصرف من هنا فوراً، لنلحق بـ"**أليكس**".

فتناولت حقيبتها وشملتها وتبعته إلى الباب وهي تقول:

– كم كنت أود أن أعرف معنى كل هذا.. بيد أنني لا أصدق أبداً أن... ولم تتم عبارتها، فقد استدار "**ديفيد**" في تلك اللحظة وأمارات الدهشة تعلو وجهه:

– أرأيت؟

– ماذا؟

– إن الباب مغلق بالمفتاح..

– لا أظن ذلك.. هل عالجت المقبض؟

فامسك "**ديفيد**"بالمقبض وحركه يميناً ويساراً ثم هز الباب بعنف.. ولكن دون جدوى. قال:

– يبدو أن بعضهم أغلقه بالمفتاح من الخارج.. فهتفت "**ساندرا**" في جزع:

– تعني أن شخصاً تعمد أن يحجزنا هنا؟

– هذا ما أعنيه..

– ولكن في استطاعتنا أن.. من تظنه فعل ذلك؟

– "**أليكس**"؟ ولماذا يعمد "**أليكس**" إلى حجزنا هنا؟ وعلى كل حال فهذه ليست مشكلة.. في مقدورنا أن ندق الباب بشدة.. أو أن نصرخ. وفتحت فمها وهمت بأن تصيح، ولكن "**ديفيد**" أسرع فوضع يده على

فمها وقال وهو يقودها إلى أحد المقاعد :

– مهلاً . . لا تفعلي ذلك . . صبراً لحظة . . اجلسي أولاً ودعينا نفكر في الأمر مليًّا في هدوء . . لاشك في أن ما حدث هنا يدعو إلى الدهشة والتساؤل . . إن ما حدث هو أن "**أليكس**" أو أي شخص آخر دعاك إلى هنا باسم آل "**تورانس**" ، وأبلغني رسالة زعم أنها منك . . ومهما يكن من أمر هذا الشخص فإنه نجح في استدراجنا إلى هنا وأغلق الشقة علينا .

– ولكن هذا عمل سخيف . . إذ في استطاعتنا أن نستغيث .

– نعم، في استطاعتك أن تستغيثي . . ولكن ماذا سيحدث؟ ستحدث فضيحة مدوية . . سيقال إننا دخلنا شقة في غياب أصحابها لنمارس الحب وأن أحد العابثين الماجنين أغلق علينا الشقة، وأوقعنا في مأزق لا خلاص منه إلا بالفضيحة .

– إذن فنحن كلما عجلنا بكشف هذه الخدعة كان ذلك أفضل . . دعنا نحدث ضجة عظيمة . . ونزعم بعد خروجنا أن الأمر كله كان مجرد مزحة خبيثة . . فقال "**ديفيد**" بجفاء :

– يجب أن تعلمي أنني لا أريد أية فضيحة . . إن أية ضجة تثار حولي سوف تسيء إلى مركزي وتدمر مستقبلي . . وإذا طلب "**جون**" الطلاق وأقحمني في الموضوع كانت في ذلك نهايتي . فصاحت "**ساندرا**" في غضب :

– يا لك من حيوان أناني! إنك لا تفكر إلا في نفسك . . لماذا لا تفكر فيّ وفي سمعتي؟

– أية سمعة؟ لم تكن لك قط سمعة طيبة . . فردت "**ساندرا**" الإهانة

بصفعة أهوت بها على خده واحمر وجهه ولكنه كظم غيظه وقال:

– اجلسي ودعيني أفكر.. نعم.. إن شخصًا نصب لنا فخًّا وأوقعنا فيه.. هذا الشخص هو غالبًا "**أليكس**".. إنه كان دائمًا يكرهني وكنت أشعر بذلك.. هبي أنه استطاع أن يقنع "**جون**" بأن..وكان يتكلم وهو يسير في الشقة، ووصل في سيره إلى حيث كان الصندوق الأسود، فكف عن الكلام فجأة، ووضع إصبعه على شيء في الأرض ثم نظر إلى إصبعه وقال:

– ذرات خشب.. من أين جاءت؟ آه! أرى ثقبًا في جدار الصندوق.. بل أربعة ثقوب.. إنها ثقبت حديثًا. كأنما لكي يتنفس منها شخص داخل الصندوق.. فوثبت "**ساندرا**" من مقعدها وهتفت:

– ماذا تعني؟

– هبي أن "**أليكس**" استغل الشكوك التي ساورت "**جون**" وأقنعه بالاختباء داخل الصندوق.. ثم أعد لنا هذا الفخ..

– هل تعني أن.. أن "**جون**" موجود داخل الصندوق الآن؟؟ وأنه سمع كل ما قلناه و.. و..

– ذلك ممكن.. ممكن جدًّا.. فنظرت "**ساندرا**" إلى الصندوق ثم إلى "**ديفيد**"، وتردد "**ديفيد**" قليلاً ثم مد يده إلى الصندوق وفتحه.. ولكنه ما كاد ينظر بداخله حتى اصفر لونه، وجحظت عيناه وصاح:

– يا إلهي!! فجمد الدم في عروق "**ساندرا**" وأسرعت إليه وهي تقول:

– ماذا حدث؟ ماذا في الصندوق؟ وحاولت أن تنظر إلى ما في الصندوق فصاح بها:

– كـلا.. كـلا.. لا تنظري.. وارتمى على أقـرب مـقـعـد إليـه، فـقـالت مـرة أخرى:

– ماذا حدث؟

– تعالي واجلسي، وتكلمي بصوت خافت.. نحن أحوج ما نكون الآن إلى صفاء الذهن ورباطة الجأش.

– ولكن أخبرني.. ماذا...

– إن "**جون**" في الصندوق كما توقعت.. ولكنه جثة هامدة!!

- 3 -

بهتت "**ساندرا**" وامتقع وجهها، وترنحت في مكانها، ومرت بضع ثوانٍ كأنها دهر، قبل أن تفيق من الصدمة وتسترد أنفاسها. هتفت أخيراً:

– "**جون**".. جثة هامدة!!

– إنه مقتول.. فهل قتلته؟

– أنا؟ ماذا تعني؟

– إنك سبقتني إلى هنا.. ثم بعثت إليّ برسالة. فقاطعته:

– ولماذا أقتله في شقة غريبة وأرسل في طلبك؟

– لكي أكون بجانبك أيتها العزيزة.. إنك ألحت أكثر من مرة إلى رغبتك في الاقـتـران بي، ولما كـانت إجـراءات الطلاق طويلة ومـعـقـدة، وتتطلب نفقات طائلة، وكنت تعلمين مدى نفوري من أن أقحم في قضية طلاق.. فإنك..

– يا لك من غبي!! أتظن أنني أجازف بارتكاب جريمة قتل قد تؤدي بنا

معا إلى المشنقة لمجرد رغبتي في الاقتران بك؟

– كلا، ولكنك ربما ظننت أننا نستطيع الإفلات من العقاب، فالشقة ملك لآخرين، وأصحابها في رحلة في الخارج، وكان تقديرك أن أحداً لم يرنا، فالعمارة بلا بواب، وسكانها لا يعرفوننا بل ولا يعرفون أننا هنا.

فقالت "**ساندرا**" في هدوء:

– في استطاعتي أن أوجه إليك الاتهام نفسه، هب أنك سبقتني إلى هنا وقابلت "**جون**" وقتلته ووضعته في الصندوق وانصرفت، ثم وقفت ترقب العمارة حتى رأيتني أدخلها فلحقت بي.

– بحق السماء يا "**ساندرا**"، أما كففت عن هذا السخف، إن عيبك أنك على جانب عظيم من الغباء.

فاستشاطت غضباً وصاحت:

– الآن تبدو على حقيقتك، وترفع قناع الغش والخداع، وتجاهر بما كنت تخفيه تحت ستار من الظرف والأدب الزائف.. وما أنت في الحقيقة إلا نذل وجبان..

– وأنت.. كم رجلاً استدرجت إلى فراشك؟!

– يا لك من وغد قذر!! وكان من الممكن أن يسترسلا في التراشق بالاتهامات والشتائم لولا أن رن جرس التليفون فجأة، فصمتا.. ونظر كل منهما إلى الآخر في ذعر. قالت "**ساندرا**" بصوت مرتجف:

– من تظنه المتكلم؟

– لا أعلم..

– هل أتناول السماعة؟

– ليس من الحكمة أن تفعلي..

– ربما كان "**أليكس**" يتكلم من مكتب العمارة.. فمد يده ليتناول السماعة ولكنها صاحت:

– كلا، كلا.. فجذب يده وقال:

– الحق أنني مرتبك، مشوش الذهن، لا أدري ماذا يجب أن أفعل. وظل جامداً في مكانه لحظة، ثم نهض بغتة ليتناول السماعة. ولكن التليفون كف عن الرنين، فجفف "**ديفيد**" العرق المتصبب على جبينه، وقالت "**ساندرا**":

– ماذا سيظن بنا "**أليكس**" إذا كان هو المتكلم؟

– إذا كان هو المتكلم فسيصعد ليرى ماذا حدث.. ولكني لا أعتقد أنه هو.

– من إذن؟

فصاح في ضيق:

– لا أعلم.. لا أعلم.. يجب أن أفكر.. يجب أن نفكر بوضوح.. إن أحدهم استدرجنا إلى هنا.. وبعضهم استدرج "**جون**".. وبعضهم أغلق علينا الباب.. إنه "**أليكس**".. ولا أحد سواه..

وفتح الصندوق وأطل فيه ثم أغلقه.. وسار إلى الشرفة، فقالت "**ساندرا**" وقد أخذت أعصابها في الانهيار:

– ماذا تفعل؟

– هل تذكرين الخنجر "**الكردي**" الذي سقط من يد "**أليكس**"؟ ألم يقل إنه سيذهب لالتقاطه؟

– نعم..

– إنه لم يلتقطه، ومازال الخنجر في مكانه حيث سقط..

– ماذا تعني؟

– ألم تفهمي؟ إن "**جون**" قُتل بهذا الخنجر، وقد بدأت صورة المكيدة تزداد وضوحًا.. فصاحت في حيرة ويأس:

– لست أفهم شيئًا، لست أفهم شيئًا، إنني في دوامة وأوشك أن أجن.

– يوجد شخص واحد وراء كل هذه الأحاجي والألغاز، وهذا الشخص هو "**أليكس**".. إنه أفهم "**جون**" أننا سنلتقي هنا، وأقنعه بالاختباء في الصندوق؛ لكي يرى ويسمع بنفسه.. ثم طعنه بالخنجر وتركه في الصندوق وانصرف، ولابد أنه كمن في مكان ما حتى رآنا ندخل العمارة فلحق بنا.. ولعلك لاحظت أنه كان حريصًا على أن يلفت أنظارنا إلى الخنجر، وأرغمني أو كاد أن يرغمني على تناول الخنجر، ثم جعلك تمسكين به وتتأملينه.. كل ذلك، بينما يداه في قفازيه طول الوقت.. فهل فهمت ماذا كان هدفه؟ كان هدفه أن نترك بصمات أصابعنا على الخنجر.. وقد كان له ما أراد ، وها نحن عاجزان تمامًا عن عمل أي شيء، ومحبوسان في شقة مغلقة مع جثة رجل مقتول.. نحن وحدنا أصحاب المصلحة في قتله..

– كل هذا جنون..

– إن بصماتك وبصماتي على الخنجر.. ولاتوجد على الخنجر أية بصمات أخرى.. وليس هناك ما نستطيع عمله سوى أن ننتظر حتى يأتي رجال البوليس.. فقالت وهي تنهض في ذعر:

– رجال البوليس؟ ولكن لماذا يأتون؟

– ألا تدركين أن هذه هي الخطوة المنطقية التالية في خطة "**أليكس**"؟

– لابد أن به مسا من الجنون.. لماذا يفعل بنا هذا؟

– أما قلت إنه كان يحب زوجك الأول ويخلص له؟

– ولكن ما علاقة ذلك بـ"**جون**"؟ فقال وهو يدنو منها:

– أصدقيني يا "**ساندرا**".. هل قذفت بزوجك الأول من فوق الربوة؟

– كلا بالتأكيد.. قلت لك أنا نفسي كدت أن أسقط معه.. فأمسك بكتفيها بقوة.. وأدارها لكي تواجهه. وقال:

– اصغي إليّ يا "**ساندرا**".. أنا لا يهمني إذا كنت قد قذفت به أم لا.. ولكننا في موقف يتعين علينا فيه أن نعرف الحقائق، لكي نتبين نيات "**أليكس**" وأهدافه... إنك كنت تحبين "**جون**" قبل أن يموت زوجك الأول.. وكان "**جون**" شابًا ساذجًا مستقيمًا ولكنه فقير.. أما زوجك الأول فكان ثريا واسع الثراء.. ولم تكن فكرة الطلاق تلائمك؛ لأنها تفقدك ثروة زوجك.. واتفق أنك و"**باري**" صعدتما فوق تلك الربوة.. ثم حدث الانهيار بسبب الأمطار، ووجدت أنت أن الفرصة سانحة.. فانتهزتها، ودفعت زوجك فهوى إلى الأعماق.. أليس ذلك ما حدث؟ أليس ذلك ما حدث؟ وهز كتفيها بعنف وهو ينطق بالعبارة الأخيرة فأطرقت برأسها علامة الإيجاب.. وعندئذ فقط ترك كتفيها وقال:

– لاشك في أن "**أليكس**" علم بهذه الحقائق..

– وأنى له أن يعلم؟

– إن "**أليكس**" يعرف الناس الذين يتعامل معهم.. إنه لم يشك في

الأمر، وإنما كان واثقًا به.. وكان لديه متسع من الوقت فانتظر حتى سئمت "**جون**" وبدأت مغامرتك معي.. وحينئذ رأى فرصته.. رأى الفرصة سانحة للاقتصاص منك، ومن "**جون**"، ومني.. إنه ماكر كالثعلب، وما في ذلك شك.. ولكن المسألة الآن هي ماذا سنفعل؟

– يجب أن نغادر هذا المكان.

– بالتأكيد يجب أن نغادر هذا المكان.. ولكن كيف؟

– نستغيث.. أو ندق الباب بعنف حتى يسمعنا أحد السكان..

– وماذا يفيدنا ذلك؟ سيفتح بعضهم الباب ويطلق سراحنا.. ولكنهم سيجدون جثة "**جون**". ولن يصدقوا قصتنا.. والأدهى من ذلك أنك قلت لتلك المرأة "**جنيفر برايس**" أنك تنتظرين قدوم زوجك.

– بوسعنا أن نقول أن "**أليكس**" جاء هنا، ونوضح كيف..

– أيتها البلهاء.. إن "**أليكس**" سينكر كل شيء.. خاصة وأنه لم يترك بصماته في أي مكان.. ولاشك في أنه أعد عدته كذلك لإثبات وجوده في مكان آخر في الوقت الذي ارتكب فيه الجريمة.

– لابد أن يكون أحد الناس قد رآه عند دخوله أو انصرافه..

– في هذا الشارع المقفر؟ إنني أرتاب في ذلك.. ثم دق جبينه بيده وصاح:

– يا إلهي!!.. أما من مخرج من هذا المأزق؟

وانطلق إلى الشرفة وأطل منها.. وعاد واليأس يتجلى على وجهه.. قال:

– إنها شاهقة الارتفاع.. والوثوب منها معناه الانتحار.

– ألا يوجد سلم للنجاة من الحريق؟ فأجابت "**ساندرا**":

– يوجد سلم.. ولكن لا يمكن الوصول إليه إلا من باب صغير بجوار باب الشقة.. فصاح وهو يدق المائدة بقبضة يده:

– لابد أن هناك وسيلة.. فهتفت "**ساندرا**" فجأة:

– التليفون!! بوسعنا أن نتصل بأحد الأصدقاء ونقول له.. فصاح "**ديفيد**":

– يا إلهي.. كيف لم أتذكر التليفون؟ بمن نتصل؟ وماذا نقول؟ وتهالك على الأريكة وجفف العرق المتصبب على وجهه.. ونظر كل منهما إلى الآخر.. ودق جرس التليفون، فاتجهت أنظارهما إليه.. وقالت "**ساندرا**" بعد لحظة:

– أجب.. أجب بحق السماء.. فإن الأمر لن يكون أسوأ مما نحن فيه.

– نعم.. نعم.. أظنك على حق. وتناول السماعة وهتف:

– ألو..

وأصغى، وبعد قليل، حجب البوق بيده وهمس محدثًا "**ساندرا**":

– إنه "**أليكس**".

ثم عاد إلى الإصغاء.. وبعد لحظات، وضع السماعة واستلقى على الأريكة بيأس. فصاحت "**ساندرا**":

– ماذا قال؟

– قال إننا كالفئران في المصيدة.. وأن البوليس سيصل إلينا بعد ثلاث أو أربع دقائق.

– البوليس!! كلا.. كلا.. لابد أن هناك وسيلة ما.. واصفر لونها، وزاغ بصرها، فقال "**ديفيد**":

– هناك وسيلة واحدة.. هي الوثوب من الشرفة.

– تعني الانتحار؟ هل جننت؟ إنهم سيصدقوننا متى أوضحنا لهم أن..

– سوف يوجهون إلينا تهمة القتل.. ويحكمون علينا.

– ولكنني لم أقتل "**جون**".. أنت المخطئ.. لماذا وقفت في طريقي؟ لماذا لم تدعني وشأني؟.. ليتني لم أقابلك على الإطلاق.

– أيتها المستهترة.. أنت التي أوقعتني في هذا المأزق.

– إنني أمقتك.. هل سمعت؟! إنني أمقتك من كل قلبي! أيها الانتهازي الوضيع! أيها الأناني القذر!

فثارت ثائرة "**ديفيد**".. ودفعها بقوة فسقطت على الأريكة.. وعندما همّ بأن ينشب أصابعه في عنقها، دق الباب بعنف، وصاح صوت في الخارج:

– البوليس.. افتحوا الباب.

فاعتدل "**ديفيد**" واقفًا، ونظر إلى "**ساندرا**" شزرًا وقال:

– انتهى كل شيء.. إنك أفلت من القصاص في المرة الأولى. ولكنك لن تفلتي هذه المرة.. وتكرر الطرق وقال الصوت:

– افتحوا.. فرمقت "**ساندرا**" عشيقها بنظرة أودعتها كل ما يعتمل في نفسها من بغض وكراهية وقالت:

– إنني أمقتك! فقال بلهجة المغيظ:

– هل تعرفين ما عقوبة القتل؟؟ العقوبة هي الإعدام شنقًا، أو السجن خمسة عشر عامًا على أحسن الفروض.. تصوري!! "**ساندرا**" الفاتنة ترسف في الأغلال طوال خمسة عشر عامًا. وهنا تكرر الطرق وقال

الصوت:

– سنحطم الباب. فقال "**ديفيد**":

– إنهم لا يريدونني.. بل يريدونك أنت.. أنت التي قتلت "**باري**".. لا أنا.. ما شأنهم بي؟ ولماذا يقحمونني في الجريمة؟ وبدأت المطارق تدق الباب بعنف، فضحكت "**ساندرا**" ضحكة هيستيرية وغمغمت قائلة:

– كالفئران في المصيدة.. نعم.. إننا كفئران في المصيدة.

تمّت بعون الله

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها...

سارع في إرسال طلبك !

1	ابنة الفراعنة
2	جريمة الفندق
3	أخطاء القضاء
4	أدلة الجريمة
5	الجزيرة العجيبة
6	اصابع الاتهام
7	امرأة خطرة
8	بيت الأحلام
9	بواعث الجريمة
10	بيت الأهوال
11	التضحية الكبرى
12	الضحية
13	الحب والجريمة
14	الجثة الثانية
15	جثة في المكتبة
16	الجريمة الأخيرة
17	جريمة أم
18	جريمة فنية
19	جريمة بلا شهود
20	الجريمة تدق الباب
21	اللغز المثير
22	جريمة عائلية
23	جريمة على ضفاف النيل
24	الجرائم الثلاث
25	جريمة في بيت الطالبات
26	جريمة في الجو
27	جريمة في الصحراء
28	جريمة في قطار الشرق
29	جريمة قتل
30	الجريمة الكاملة
31	امرأة في مأزق
32	الجريمة المستحيلة
33	الجريمة المعقَّدة
34	الشاهدة الوحيدة
35	جزيرة الموت
36	جنون الانتقام
37	الحادث
38	الحب الذي قتل
39	الرجل الرابع
40	ذات القناع الأسود
41	ذات الوجهين
42	رجل بلا وجه
43	غانية باريس
44	رصاصة في الرأس

45 | رعب في المدينة
46 | الزائر الغامض
47 | ساعة الصفر
48 | السر الرهيب
49 | ساحر النساء
50 | سر القصر الكبير
51 | سر المنبهات السبعة
52 | سيدة القصر
53 | شاهد للتحقيق
54 | الشاهد الصامت
55 | نقطة الدم
56 | الشبح القاتل
57 | شرخ في المرآة
58 | الشيطان امرأة
59 | إخناتون
60 | الطائر الجريح
61 | الطائرة المفقودة
62 | الطيور السوداء
63 | عدو بلا وجه
64 | العميل السّري
65 | العنكبوت
66 | الفخ
67 | القاتل الرابع
68 | القاتل الغامض
69 | القاتل والمقتول
70 | قاتل المليونير
71 | القصاص
72 | القصر الرهيب
73 | القضية الكبرى
74 | الكأس الأخيرة
75 | كلب الموت
76 | ليل ليس له آخر
77 | مأساة ذات ثلاثة فصول
78 | الماضي الرهيب
79 | الرسائل السوداء
80 | المتهمة البريئة
81 | المصيدة
82 | نسيج العنكبوت
83 | الثعلب
84 | الموت المقنع
85 | موعد في بغداد
86 | موعد مع الموت
87 | نادي الجريمة
88 | الوصية المفقودة
89 | الجريمة المزدوجة
90 | الياقوتة الحمراء
91 | جريمة بلا شك
92 | غريم بوارو
93 | وجه من الماضي
94 | خاتمة المآساة
95 | الحصان الشاحب